المقتبس

البرجان

Les Borgans ou Varègues

من هم البرجان الذين كثر ذكرهم في كتب العرب التاريخية القديمة ومعاجم اللغة العربية ؟ هذا سؤال يجب ان يقف في جوابه كل من يهمه الاطلاع على اخبار الاقدمين والامم السالفة . فأقول : اذا اردنا الوضوح في هذه المقالة يجدر بنا ان نقسم البحث الى ثلاثة اقسام وهي : قسم نذكر فيه كلام مؤرخي العرب او مشاهيرهم . وقسم نذكر فيه آراء لغويي العرب وقسم نأتي فيه على ما صرح به علماء الافرنج ومستشرقوهم ثم نختم هذه الابواب الثلاثة بخاتمة لتكون بمنزلة فصل الخطاب .

(١) القسم الاول كلام مؤرخي العرب ومشاهيرهم

اول من ذكر البرجان من جغرافيي العرب هو اول مؤلف عربي صنف في وصف الارض المعني به ابو زيد احمد البلخي صاحب كتاب صور الاقاليم المتوفى ليلة السبت لتسع بقين من ذي القعدة سنة ٣٢٢ هـ (= تشرين الثاني ٩٣٣ م) اذ يقول : واما مملكة الاسلام فان شرقيها ارض الهند وبحر فارس ، وغربيها مملكة الروم وما يتصل بها من الارمن واللان والبرجان والسرير والخزر والروس والبلغار والصقالبة وطائفة من الترك . وشماليها مملكة الصين وما يتصل بها من بلاد الاتراك وجنوبيها بحر فارس » اه المقصود من ايراده .

وقال ابن خرداذبة : « والعمل الثالث من بلاد الروم عمل تراقية وحده من المشرق السور ومن الجنوب عمل مقدونية ومن المغرب بلاد برجان ومن الشمال بحر الخزر » اه

جاء في كتاب المسالك والممالك ذكر البرجان مراراً عديدة وكلها بهذا المعنى

وقال ابن الفقيه في كتاب البلدان : « واليها (اي الى الري) تجمع تجارات ارمينية وآذربيجان وخراسان والخزر وبلاد برجان . » اه

واما اليعقوبي فلم يتعرض لذكرهم . وممن ضرب صفحاً عن ذكرهم ايضاً الاصطخري وابن حوقل والمقدسي وقدامة بن جعفر والبكري والبيروني

وقال ابن الوردي عن ارض البرجان ماحرفه : « هي ارض عظيمة واسعة بها من البرجان ام لاتحصى وهي امة طاغية قاسية بلادهم واغلة في الشمال » ويقول عن ارض البلغار ليبين لك انها ليست ارض اولئك كما زعم ذلك بعض المتأخرين او المعاصرين : « هي ارض واسعة ينتهي قصر النهار عند البلغار والروس في الشتاء الى ثلاث ساعات ونصف ساعة . » قال الجواليقي : « ولقد شهدت ذلك عندهم فكان طول النهار عندهم مقدار ماصلي اربع صلوات كل صلاة في عقيب الاخرى مع الاذان وركعات قلائل الاقامة والتسبيح . وعماراتها متصلة بعمارة الروم . وهم امم عظيمة ومدينتهم تسمى بلغار وهي مدينة عظيمة يخرج واصفها الى حد التكذيب . »

وقال الطبري (١ : ١٨٠ - من ولد يونان : الصقالبة وبرجان . (وفي ١ : ٢٢٩) وملك (افريذون ابنه) طوجاً الروم والصقالبة والبرجان وما في حدود ذلك » . (وفي ١ : ٩٠٠) « وانوشروان غزا برجان ثم رجع فبنى الباب والابواب » . (وفي ٣ : ١٣١٧) وفي هذه السنة (اي سنة ٩٨) اغارت برجان على مسلمة بن عبد الملك وهو في قلة من الناس فامده سليمان بن عبد الملك بمسعدة او عمرو بن قيس في جمع فمكرت بهم الصقالبة . ثم هزمهم الله بعد ان قتلوا شراحيل بن عبدة . » اه وفي ٣ : ٧٧٥ وقتل في هذه السنة سنة ١٩٣ نقفور ملك الروم في حرب برجان » وفي ٣ : ١٤٥٠) وقد كان اذن (ملك الروم في سنة ٢٤٦ هـ) لوفود برجان وغيرهم ممن ورد عليه . » اه

وقال المسعودي في كتاب التنبيه : « وحد الاقليم الخامس بحر الشام الى اقصى ارض الروم مما يلي البحر الى ترافية وبلاد برجان والصقالبة والابر الى حد ارض ياجوج وماجوج . » وقال في موضع آخر من كتابه المذكور : ان السبب في ذلك (في انتصار الملك قسطنطين على اعدائه) ظهور صليب له نوري في السماء في نومه في حال حربه مع ملك برجان وانه قيل له : استنصر به على عدوك تنصر عليه » اه .

وقال (في ص ١٤١) : وقد دخل كثير منهم (من الاجانب) في وقتنا هذا في

جملة الروم كدخول الارمن والبرجان وهم نوع من الصقالبة والخزر من الاتراك فشحنوا بهم كثيراً من حصونهم التي تلي الثغور الشامية وجعلوهم بازاء برجان وغيرهم من الامم المتاخمة لهم والمحيطة بملكهم ... وقد ذكرنا فيما سلف من كتبنا السبب في كيفية بناء القسطنطينية والتنازع في ذلك . وقول من قال ماوراء الخليج كان من ارض برجان فاحتال قسطنطين على ملك برجان ثقة بالموضع وبعد ذلك حتى اذن له في بنائها»

وقال (في ص ١٦٤) «لحق (يسطنيانس) بملك الخزر مستنجداً به وتزوج هناك الى بعضهم فعدم ما يحب فصار الى طرفلا ملك برجان .... وقد كان شرط لطرفلا ملك برجان اذا رجع الملك اليه ان يحمل اليه في كل سنة خراجاً وكان يفعل ذلك ...

وقال (في ص ١٦٨) «وكان مقتل نقفور في حرب كانت بينه وبين برجان في سنة ١٩٢ . وقد اتينا على اخباره مع الرشيد وحروبه برجان وقتلهم اياه »

وقال (في ص ١٨٣) «وقد ذكر طول السور المسمى بالرومية مقرون تيخس معناه السور الطويل الحاجز بين بلاد برجان وبين الحدود الخمسة التي وراء القسطنطينية ..»

وقال (في ص ١٨٤) «وقرب من هذا الجبل «جبل القبق» من الامم كاللان والسرير والخزر وجرزان والابخاز والصنارية وكشك والكاشكية وغيرهم والابر وبرجان والروس والبرغر والافرنجة والصقالبة ..

وقال «في ص ١٩١ » «ومن جاورهم (اي الروم) من الممالك من برجان والابر والبرغر والصقالبة والخزر وغيرهم ...

وقال (في ص ١٩٦) «وقد ذكرنا ما جرى بين الروم وبرجان والبرغر والترك وغيرهم من الوقائع المشهورة والحروب المذكورة ..

وقال المسعودي في كتابه الآخر مروج الذهب (٢ : ١٦ طبعة باريس) «وشن الغارات (اي ملك البرغر يريد البلغار) حولها (اي حول القسطنطينية) الى بلاد رومية والاندلس وارض برجان والجلالقة والافرنجة ... » وقال (في ص ٣١١ من ذلك الجزء) «.. وقد كان لها (اي لقسطنطين الملك) في بنائها خبر طريف مع بعض ملوك برجان لخوف دخله من بعض ملوك آل ساسان .. » وقال (في ص ٣١٤) «وكان السبب في دخول قسطنطين بن هلاني في دين النصرانية والرغبة فيها ان قسطنطين خرج في بعض حروب برجان او غيرهم من الامم فكانت الحرب بينهم سجالاً نحواً من سنة .. » وقال (في ٣ : ٦٦) «الافرنجة والصقالبة والنوكبرد والاشبان والياجوج والماجوج

والترك والخزر وبرجان واللان والجلالقة ... وقال في ص ٧٨ اولى: اجتمع عليهما الى اهل الاندلس امم من الامم من ولد يافث من الجلالقة وبرجان والافرنجة وغيرهما من الامم ... وقال (في ٤ : ٣٨) «عمل الترك خاقان سبع مائة فرسخ في خمسمائة ... اي طوله ... وعرضه ... عمل الخزر واللان سبع مائة فرسخ في خمسمائة فرسخ. عمل برجان الف وخمسمائة فرسخ في ثلثمائة فرسخ. عمل الصقالبة ثلاثة آلاف وخمسمائة فرسخ في خمسمائة فرسخ. وقال (في ٧ : ٣٤٧) «وفي هذه السنة وهي سنة ٢٢٣ خرج توفيل بن ميخائيل ملك الروم في عساكره ومعه ملوك برجان والبرغر والصقالبة وغيرهم ممن جاورهم من ملوك الامم حتى نزل مدينة زبطرة من الثغر الجزري ففتحها بالسيف ...

وقال ابن رسته: الاقليم السادس يبتدئ من المشرق ويمر على بلاد ياجوج ثم على بلاد الخزر فيقطع بحر طبرستان الى بلاد الروم فيمر على جرزان واماسيا وهرقلة وخلقيذون والقسطنطينية وبلاد برجان وينتهي الى بحر المغرب.

الاقليم السابع يبتدئ من المشرق من شمال ياجوج ثم يمر على بلاد الترك ثم على سواحل بحر طبرستان مما يلي الشمال ثم يقطع بحر الروم فيمر ببلاد برجان والصقالبة وينتهي الى بحر المغرب.

واما ما وراء هذه الاقاليم الى تمام الموضع المسكون الذي عرفناه فانه يبتدئ من المشرق من بلاد ياجوج ثم يمر على بلاد التغزغز وارض الترك ثم على بلاد اللان ثم على الابر ثم على برجان والصقالبة وينتهي الى بحر المغرب.

وقال في موضع آخر: ومن هذه المدينة (اي رومية) تركب البحر فتسير ثلاثة اشهر حتى تنتهي الى بلاد ملك برجان وتسير منها في جبال وعقاب شهراً واحداً حتى تنتهي الى بلاد فرنجة» اهـ.

وقال ياقوت: «برجان بالضم: بلد من نواحي الخزر. قال المنجمون: هو في الاقليم السادس وطوله اربعون درجة وعرضه خمس واربعون درجة وكان المسلمون غزوه في ايام عثمان رضه» اهـ.

وقال البلخي في كتاب البدء والتاريخ (١ : ٦٤) «سمعت قوماً من برجان يسمونه (اي الله) ادونا. فسألتهم عن اسم الصنم فقالوا: فغ.» وقال (في ٣ : ٢٦) «فمنهم (من اولاد يافث) الترك والخزر والصقالبة وبرجان والشان وياجوج وماجوج ستة وثلاثون لساناً.» وقال (في ٤ : ٥٣) الاقليم السادس: يبتدئ من المشرق ويمر على

بلاد ياجوج وماجوج ثم على بلاد الخزر ثم على وسط بحر جرجان الى بلاد الروم فيمر على حران وعمورية وقسطنطينية وبلاد برجان الى بحر المغرب . قال اهل هذا العلم : ان طول هذه الاقاليم الى تمام الموضع المسكون الذي عرفناه فانه يبتدئ من المشرق من بلاد ياجوج وماجوج ثم يمر على بلاد الخزر وارض الترك وتلي بلاد اللان ثم على بلاد برجان ثم على شمال الصقالبة الى ان ينتهي الى بحر المغرب . ا ه

وقال ابو الفداء في تقويم البلدان : برشان بضم الباء الموحدة وسكون الراء المهملة وفتح الشين المعجمة ثم الف ونون في الآخر . ويقال لها ايضاً برجان بالجيم . كانت قاعدة البلاد . قال ابن سعيد : وبرشان كانت قاعدة الامة التي يقال لهم برجان وكان لهم شهرة وبأس في قديم الزمان فاستولت عليهم الامم المجاورة وابادوهم حتى لم يبق منهم احد ولا بقي لهم اثر . ا ه .

وقال القزويني : برجان بلاد متصلة في جهة الشمال فيها قصر النهار الى اربع ساعات والليل الى عشرين ساعة وبالعكس واهلها مجوس . ا ه . وقال عن البلاد : مدينة عظيمة (كذا والمراد هنا قاعدة البلاد) على ساحل بحر نيطس مبنية من خشب الصنوبر وسورها من خشب البلوط . يحويها من امم الترك ما لا يعد ولا يحصى . والبرد عندهم شديد جداً لا يكاد الثلج ان ينقطع عن ارضهم صيفاً وشتاء . ا ه .

وقال ابن الاثير في (١ : ٢٨ من طبعة مصر) ومن ولد يونان (والاصح يوان بالمثناة التحتية) الصقالبة وبرجان والاشبان كانوا في القديم بأرض الروم قبل ان يقع فيها من وقع من ولد العيص بن اسحق وغيرهم . وقال (في ٦ : ١١٦) ثم ملك اسطيانوس (اي اسطينيانوس) المعروف بالاخرم تسع سنين ايام عبد الملك ثم خلعه الروم وخرموا انفه وحمل الى بعض الجزائر فهرب ولحق بملك الخزر واستنجده فلم ينجده فانتقل الى ملك برجان . ثم ملك بعده ليطش ثلاث سنين ايام عبد الملك ثم ترك الملك وترهب . ثم ملك اخشين المعروف بالطرسوسي ست سنين فقصده اسطيانوس ومعه برجان وجرى بينهما حروب كثيرة وظفر به اسطيانوس وخلعه وعاد الى ملكه وكان ذلك ايام الوليد بن عبد الملك واستقر اسطيانوس وكان قد شرط لملك برجان ان يحمل اليه خراجاً كل سنة فعسف الروم وقتل بها خلقاً كثيراً فاجتمعوا عليه وقتلوه فكان ملكه الثاني سنتين ونصفاً . ا ه . وقال (في ص ١١٧) وجرى بين المقدونية وبين برجان حرب سنة ٢٩٣ فقتل فيها . ا ه . وقال (في ص ١٥٥) عن كسرى انوشروان انه الى

المدائن وغزا البرجان ثم رجع وارسل جنده الى اليمن » . اه ثم قال (في ص ٥٥ : ١) « وقوي امره (اي انوشروان) وغزا فرغانة والبرجان وعاد فبنى مدينة الشابران » . اه . وقال (في ٥ : ١١) « وفي هذه السنة (اي ٩٨) فتحت مدينة الصقالبة وكان برجان قد اغار على مسلمة بن عبد الملك وهو في قلة فكتب الى سليمان يستمده فأمده فمكرت بهم الصقالبة ثم انهزموا » . اه .

وانت ترى ان ما نقلناه هنا عن ابن الاثير يكاد يكون نص الطبري بعينه . ومثل هذين النصين كلام ابن خلدون فلهذا ضربنا صفحاً عن ذكره . والى هنا ايضاً انتهى ما جمعناه من كتب اشهر المؤرخين واهل التخطيط وان كان ثم غير هؤلاء الا انهم يعدون من النقلة لا من المصنفين الاصليين . وهذا يدلك على سبب عدولنا عن ذكر نصوصهم لاكتفائنا عنهم باقوال الكتاب الاقدمين اصحاب القدم الراسخة في هذا الموضوع

٢ً القسم الثاني نصوص لغويي العرب

قال الفيروزابادي في القاموس : « برجان كعثمان : جنس من الروم » . وزاد السيد المرتضى في تاج العروس : « يسمون كذلك قال الاعشى :

وهرقل يوم ذي ساتيدما   من بني برجان في الباس رجح

يقول : هم رجح على بني برجان اي هم ارجح في القتال وشدة البأس منهم » . اه . وهذا الكلام كله هو نص ابن منظور بحرفه . وقد اخذه المرتضى منه ولم ينبه عليه .

وقال ابن الوردي : « البرجان امة بل امم طاغية مشركون . بلادهم متوغلة في الشمال وسيرهم منقطعة لبعدهم عنا وجفاء طباعهم » . اه .

وقال في المعرب الجواليقي : « برجان . اسم اعجمي وقد تكلمت به العرب قال الاعشى : « من بني برجان في الباس رجح » .

وقال الجوهري في الصحاح :

« وهرقلاً يوم ذي ساتيدما   من بني برجان ذي الباس رجح » .

ولم يزد على هذا القدر مع اختلاف الرواية بينه وبين صاحب اللسان والتاج .

وقال المطرزي في المغرب : برجان جنس من الروم بلادهم قريبة من القسطنطينية وبلاد الصقالبة قريبة منهم .

وقال صاحب الاوقيانوس : برجان كَمِي بوزن عثمان اسم جنس من الروم وفي كتاب المغرب للمطرزي (ما ذكرناه آنفاً) وفي كتاب الخريدة لابن الوردي (ما نقلناه في هذا الاثر قال) : وعليه فيؤخذ من هذا الكلام وعن سائر ما ورد في كتب تخطيط البلدان ان برجان وبغدان هما بلاد وجيل معروفان بكونهما وراء نهر الطونة · فمن الفضول اذاً ان تكون كلمة برجان معربة عن بوجاق (كما · ويراد ببوجاق البلاد المعروفة باسم بسارابية) بل ولعل الارجح ان تكون برجان تعريب بغدان · اه تعريباً

ومن الغريب ان القلقشندي الذي وضع كتاباً في الانساب وذكر انساب كثير من الاجيال والامم والشعوب لم يتعرض لذكر البرجان · ومن اغفل التنويه بهم سائر اللغويين من العرب كصاحب الجمهرة وتهذيب اللغة والمحيط والمجمل والمخصص والمحكم والجامع لديوان العرب واللباب واساس البلاغة والمصباح المنير ومجمع البحرين ومطلع النيرين والناموس الى آخر ما هنالك ·

واما صاحب محيط المحيط اي البستاني فانه نقل كلام المطرزي ولم يصرح باسم المنقول عنه · وصاحب اقرب الموارد لم يذكر البرجان بمعنى هذا الجيل من الناس · ونقف عند هذا الحد من ذكر نصوص اللغويين ·

القسم الثالث رأي مستشرقي الافرنج

ذهب اغلب المستشرقين الى ان المراد بالبرجان : البلغار · وهذا لا يمكن ان يكون صحيحاً البتة كما سنثبته في ذيل هذا القسم · على ان بعضهم انتبهوا الى ما في هذا التوحيد بين القطرين من الغرابة والبعد لرؤيتهم كثيرين من كتاب العرب جمعوا في عبارة واحدة بين البرجان والبلغار وميزوا بين الجيلين تمييزاً بيناً فاستنتجوا ان القومين ليسا بواحد بل هما اثنان وان كانا في اغلب الاحايين متحالفين متفقين في الهجوم والدفاع وفي القتال والنزاع ·

على ان بعض الافرنج ذهبوا الى ان المراد بالبرجان في بعض عبارات الكتاب من العرب قوم يكونون في اوربة (افرنسة) وهم المعروفون باسم البرجون او البرغون اي هم البرغونيون باللغة الفرنسوية باسم Bourguignons وهم محقون في ذلك · مثال ذلك المسعودي في عبارته (في ٢ : ١٦) وفي عبارته (في ٣ : ٧٨) فلا شك ان المراد بالبرجان

«البرجون والبرغون» وهذا التصحيف قريب من البرجان فظن المؤلف الاول او مصحح الكتاب ان البرجون والبرجان شيء واحد والحال: ان الامر على خلاف ما ظن وان كان بين اللفظين تناسب في الاشتقاق. ولهذا لقد اصاب الفاضل بربيه دمينار Barbir de Meynard حينما ذكر هذه العبارة: «وشن الغارات حوفاً الى بلاد رومية والاندلس وارض برجان والجلالقة والافرنجة» ان المراد بهؤلاء البرجان: Les Bourguignons لكنه لم يصب في قوله انهم البلغار في كلام المسعودي في ٣ : ٦٦ و٣ : ٧٨ ثم ٧ : ١٣٤ ثم ٤ : ٣٨ فهو ذكرهم باسم البرجان كما فعل في ٢ : ١١ و٢ : ٥٩ و٣ [illegible] ولهذا لقد اصاب في مواطن واخطأ في مواطن أخرى.

واما العلامة دي كويه M. J. de Goeje فانه لم ينقل الى اللاتينية اسم البرجان كل مرة وردت في الطبعتين. ولما في ترجمته لكتاب المسالك والممالك لابن خرداذبه فانه نقلها الى لفظة بلغار Bulgares في ص ٩٣ : ٥ ، ١٧٥ : ١ واما في ١٠٧ و٢٥٧ فقد ابقاها على لفظها «برجان». كأنه قد اكتفى بما المع اليه وبان المراد من البرجان «البلغار».

وقد صرح فريتاغ انه لا يعرف على التحقيق من هم هؤلاء المعروفون باسم البرجان. الى الغرض الآخر ذهب الى ان قولهم «اسرق من برجان» يراد بهم هؤلاء الاقوام. وقد قال في ذيل كلامه عن البرجان: برجان اسم لص او لصوص. وقد تابعه في هذا الوهم قزميرسكي. وقد وهم كلاهما. لان اللص المشهور باسم برجان هو غير جيل البرجان فاللص برجان كان من ناحية الكوفة. صلب لسرقته فسرق وهو مصلوب. وذلك انه قال لخادمه: مر الى تلك الخربة فان لي فيها مالا وانا احفظ بردونك. فلما غاب عنه حل واحد من [illegible] هذا البرذون فهرب. (راجع فرائد اللآل في مجمع الامثال ١ : ٢٦٣)

واما البرجان الآخرون فهم اقوام يجاورون البلغار ويساكنونهم. وكانوا اهل غزو لا لصوصاً كان شأن الناس في ذلك العصر قبل العمران الحديث. وعلى هذا القول فريتاغ وقزميرسكي انهم من اللصوص وهم ظاهر وغلط بين فليحفظ. هذا فضلاً عن انك لا ترى واحداً من ابناء العرب ذهب الى ان اللص برجان هو من قوم البرجان. او ان البرجان هم من اللصوص ومنه قولهم «اسرق من برجان». كقولهم «اسرق من قوم برجان»

والظاهر ان اول مستشرق ذهب الى ان البرجان هم البلغار العلامة كاترمير في الكتاب الذي نشره في باريس لمؤلفه رشيد الدين وترجمه الى اللغة الفرنسية مع

حواشٍ نفيسة تزري بعقود الجمان. وقد رأيت هذا الكتاب مراراً عديدة في مكتبة الحاج علي الآلوسي من وجوه بغداد وهو اليوم في الآستانة ومكتبته مقفلة لا يدخلها داخل وقد كان من اخص اقربائه. ولما كان مقام كاترمير من ارفع المقامات في العلم تابعه الكثيرون اعتماداً عليه. ولهذا نرى العلامة رينو Reinaud في ترجمته كتاب تقويم البلدان تأليف ابي الفداء لم يقطع كل القطع برأي وضعيه كاترمير لانه ابقى كلمة برجان على حالها في ص ٢٨٣ من الجزء الاول من القسم الاول وفي ص ٣١٣ من ذلك الجزء عينه. ثم قال في ص ٨٠ من القاسم: كلمة «برجان» تعني بعض الاحيان «البلغار» المجاورين لنهر الطونة. راجع حواشي المسيو كاترمير في كتاب تاريخ رشيد الدين ص ٤٠٠ وراجع ايضاً تصنيف المسيو دهصون في كلامه عن اقوام جبل قاف ص ٦٠ ومن المرجح ايضاً ان هذا الاسم يشمل الآبر والصرب. اه كلام رينو

قلت ترى انه لا يجزم بصحة هذا القول كل الجزم بل يذكره بكل تحفظ وتحرز لانه رأى انه اذا صح هذا التأويل في مواضع فهو لا يصح في عدة مواطن

واما اقوى براهين كاترمير على ان البرجان هم البلغار المجاورون لنهر الطونة هو هذا على ما تذكر «يقول المسعودي ان [illegible] الثاني المشهور بالاخرم لان ثاوفيل ملك البرجان والحال ان كتبة اليونان يذكرون ذلك عن ملك البلغار اذن البرجان هم البلغار» اه كلام العلامة محصلاً بمعناه. فاقول انّ نص المسعودي هو هذا «وفي هذه السنة وهي سنة ٢٢٣ خروج توفيل بن ميخائيل ملك الروم في عساكره ومعه ملوك برجان والبرغر والصقالبة وغيرهم» فيتضح من هذا الكلام ان البرجان غير البرغر او البلغار والا لما فرق بين اللفظين بل انهم قوم مخالفون للبلغار كما كان الصقالبة مخالفين لهم ايضاً واكتفاء اليونان بذكر البلغار فقط لا يدل على انه لم يكن معهم برجان وصقالبة بل انما ذهبوا الى ذكر البلغار اما لكثرتهم واما لشهرتهم واما لانهم اذا ذكروا البلغار فهم قواد ولتلك الزمان جنبة البلغار ايضاً البرجان والصقالبة او لعل هناك سبباً آخر لا نصل الى معرفته لقلة المصادر.

وعلى كل حال فان كلام المسعودي صريح كل الصراحة ان البرجان قوم كانوا مع البلغار وليسوا اياهم. بل هم الذين نعنيهم في كلامنا الآتي

واما آراء سائر المستشرقين فلا حاجة الى ذكرها لانه اذا كان مقدموهم وزعماؤهم على هذا التأويل فلا يبعد تأويل من جاء بعدهم واخذ عنهم بعضاً يذكر ومن ثم تكون

آراؤهم منحصرة في ثلاثة أقاويل: فالاغلب يذهب الى انهم والبلغار جيل ومنهم من يقول بان البرجان في بعض المواطن تفيد البرجون او البرغونيين والطائفة الاخرى تبقي اللفظة على وجهها لانها لم ترها موافقة لمعنى البلغار

على ان هناك مذهبًا رابعًا بل وخامسًا لا ينسب او ينسبان الى واحد من المستشرقين بل الى عالم جليل من علماء الاتراك ولغوييهم اريد به عاصم افندي صاحب الاوقيانوس ومترجم القاموس فانه يظن ان البرجان تعريب بوجاق ويرجح عليه كون اللفظة تعريب بغدان وكلا اللفظين وان كانا يتقاربان في الكتابة الا انهما يتبعدان كل الابتعاد في النطق والتلفظ هذا فضلا عن ان ابدال الحروف وسننه لا توافق كل الموافقة هذا التصحيف البعيد الوقوع الا بتكلف وتمحل واعنات لا إعنات وراءه.

٤ خاتمة النبذة وفيها ذكر رأينا

من قرأ بتروٍ وتدبر ما كتبناه الى هنا وانعم النظر في الشواهد التي نقلناها عن كتبة العرب على اختلاف عصورهم يحكم حكمًا باتًا بأن البرجان غير البلغار وبالعكس واليك خلاصة ما قاله العرب عنهم مجموعة هنا:

البرجان جيل من الناس بلادهم غائصة في جهة الشمال في قصر النهار الى اربع ساعات والليل الى عشرين ساعة · وبالعكس · واهلها مجوس طغاة عتاة قساة وسيرهم منقطعة عنا لبعدهم وجفاء طباعهم · وقد تنصروا في عصور النصرانية الاولى بعد ان غادروا بلادهم واقاموا بجوار البلغار من جهة وبقرب الصقالبة من الجهة الاخرى وكانوا تارة مهادنين للبلغار ومواليهم ومحالفيهم وطورًا اعداءهم وهاجمين عليهم وغازين اياهم · شأن الجار للجار · فهذا كله لا يصح الا على الامة المعروفة عند الافرنج باسم Varègues ويقال فيها عندهم Varangiens او Variaguees كما ان العرب اخذوا هذه اللفظة عن اليونان وهم يكتبون الفاء الفارسية المثلثة الفوقية باء موحدة تحتية على سبب تعاقب الفاء والباء · والكلمة هي في الاصل Warg ومعناها «المنفي» او «الافاق» ثم توهموا فيها الافراد كما هو الامر حقيقة فجمعوها على فعلان فقالوا فيها «برجان» كما قالوا في جمع ظهر «ظهران».

والبرجان على التحقيق قوم الفاقون اصل لغتهم من اسكنديناوية ثم انضم اليهم اناس آخرون من عناصر اخرى كالروس والصقالبة والآبر والصرب والبلغار فجميع

[illegible] لما فيه [illegible] الالمانيون [illegible] من آخرها .

هذا [illegible] بعد ان طالعنا [illegible] مؤلفات عربية وتركية وبعد ان [illegible] Pogodine [illegible] Schwartz [illegible] Gedeonow [illegible] Kostomarow [illegible] Kovalsky [illegible] Ami Boué [illegible] Kanitz [illegible] M. Léger [illegible] Emile Laveleye وغيرهم .

وان كان لاحد من القراء [illegible] ونحن [illegible] من اهم الشاكرين لان غايتنا البحث عن الحقيقة لا [illegible] برأينا [illegible] الصحيح [illegible] والله الهادي الى [illegible] [illegible]

الفتوى في الاسلام

« [illegible] »

(حاجة الدين الى معرفة العلوم الرياضية)

ان علم الهيئة — الرياضية — [illegible] كبيرا في [illegible] والفقه [illegible] صاحب التصحيح وحجة الاسلام الغزالي وفخر الدين الرازي وجلال الدين ابن خلدون والامام ابن رشد وسيف الدين الآمدي [illegible] والقاضي [illegible] الشيخ [illegible] الفارابي والقطب الشيرازي [illegible] الدين الطوسي [illegible] والقطب الرازي والسيد الشريف الجرجاني وسعد الدين التفتازاني وبدر الدين ابن جماعة وقاضي القضاة [illegible] الدين [illegible] وشهاب الدين [illegible] من لا يحصى من الائمة كما تراه في طبقات الحكماء وفي حسن المحاضرة للسيوطي وسواها من تواريخ الاعلام ووفيات الاعيان وكثير من كان منهم من القضاة والفقهاء والمتكلمين [illegible] [illegible]

كل من عني بهذه العلوم — الرياضية — علم مسيس الحاجة اليها وادرك موضع الكمال منها فراح يضرب منها بسهم ويخوض منها في بحر

تحفل كتب الفقه مما لا يحصى من فروع هذه العلوم وكم توقف القضاء والافتاء في النوازل على الالمام بهذه الفنون

أليس تحرير سمت القبلة يتوقف على معرفة اصول فن الميقات وكذا تحرير اوقات الصلوات في البلاد على معرفة عروضها واطوالها المقررة في علمها

وكذلك حسم المنازعات في مساحة قطع الارض او مقادير السقيا من الانهار او العيون يتوقف على فن الهندسة والمقاييس

وهكذا القاضي في وقف على بلد من بلاد دولة من الدول معينة ارتيب في كون ذلك البلد من حوزتها وحدودها يتوقف على علم الجغرافيا (تقويم البلدان) فانه يعلم دخولها في شرط الواقف او عدم دخولها

وهكذا افتى من المحققين غير واحد انه لمن له معرفة بعلم هيئة الفلك ان يعمل بحسابه في صوم رمضان والفطر منه بل افتى تقي الدين السبكي لما كان قاضي القضاة بدمشق في رسالة سماها (العلم المنشور في اثبات الشهور) ان من شهد برؤية الهلال في رمضان او ذي الحجة مثلا ودل الحساب على انه لا تمكن رؤيته ان تلك الشهادة ترد (قال) لان قبول الشهادة انما هو عند عدم الريبة ووجود الاحتمال اما مع القطع باستحالة الرؤية بالبرهان الجلي في ذلك فلا تقبل تلك الشهادة وتحمل على الغلط او الكذب (قال) لانه اقوى من الرؤية لانه مستحيل عادة ويبين رحمه الله في هذه الرسالة ما يجب على القاضي من التثبت في ذلك وما ينبغي له من الالمام بعلم الهيئة والميقات او تقليد من يثق به في ذلك ليكون على بصيرة مما يقبل من الشهادة في ذلك او يرد

ورسالته هذه من نفس الرسائل المفتون بها

وبالجملة فحاجيات الفنون الرياضية في الاقضية والاحكام وفي العبادات والمعاملات اوسع من ان يدخلها الحصر ولا غنى للقاضي والمفتي عن الالمام بها كما اوضحنا

(تحري المفتي في مسائل الطلاق المجمع عليه والاقوى دليلا)

مما يجب على كل مفت — بنوعيه الخاص والعام — ان يتحرى ويتروى ويحتاط في مسائل الطلاق ما اجمع على وقوعه او قوي الدليل فيه معقولا او منقولا واما التسرع

والمتون تحل العصمة بمجرد قول غير مجمع عليه ثم القراءة في [illegible] أقوال الصحب والتابعين رضوان الله عليهم تكن خلافه — فهذا السر من الأمور التي جرت تاويلات في كثير من العادات ، كما أفضت إلى التحيز إلى الأوضاع الشرعية ولا تلتئم مع أصول الملة السمحاء ، ومن المعلوم أن صور الحلف بالطلاق وأنواع التعليق به التي أفردت لها أبواب خاصة واتسعت بطون الأسفار لا ترى منها مسألة مرفوعة إلى النبي صلى الله عليه وسلم ولا يعرفه ما أثر عن الصحب رضوان الله عليهم لأنها إنما حدثت بعد ، قال شيخ الإسلام أبو العباس ابن تيمية في بعض فتاواه (١) : لما أحدث الحجاج بن يوسف تحليف الناس بأيمان البيعة وهي التحليف بالطلاق والعتاق والتحليف باسم الله وصدقة المال وقيل كان منها الحلف بالحج تكلم حينئذ التابعون ومن بعدهم في هذه الأيمان وتكلموا في بعضها في ذلك فمنهم من قال إذا حنث بها لزمه ما التزمه ومنهم من قال لا يلزمه إلا الطلاق والعتاق ومنهم من قال بل هذا من جنس أيمان أهل الشرك لا يلزم بها شيء ، ومنهم من قال إن أراد من أيمان المسلمين يلزم فيها ما يلزم في سائر أيمان المسلمين والذي نقل في هذا الجنس عن الصحابة بما دل عليه الكتاب والسنة ا هـ كما بسط في موضع آخر

وبالجملة فأهم مسائل الطلاق الآن مسألة الحلف به والحرام والتعليق عليه ، وطلاق السكران ، وطلاق الغضبان ، وجمع الثلاث في كلمة واحدة ، والطلاق في الحيض ، ويندرج تحت كل صور شتى بين المواقف في مذاهب السلف فيها أقوالاً وفتاوى عديدة وقد أسلفنا ما في جانب كلام المحققين من وجوب التحري في المسائل المختلف فيها وترك الورع في مسألة الفتوى لترجيح أحدها

وإنما يصل المفتي إلى الترجيح الصحيح بمراجعة الكتب التي جمعت أقوال السلف في هذه المسائل وهي المحلى لابن حزم ، وفتاوى ابن تيمية وكتاب أعلام الموقعين الجليل له أيضاً ، والإغاثة الكبرى لابن القيم والإغاثة الصغرى في طلاق الغضبان لابن القيم أيضاً ، والرسالة المطولة له أيضاً وكذلك مراجعة كتب الروايات في [illegible] الثلاثة ومطولات كتب أصحاب الأئمة فهذه الطرق بالتدبر الرائق فيها يجد من سماحة الإسلام ويسر الدين ورفع الحرج في هذا الباب ما يعظم به المنة لله ويحقق بحمده تعالى على هذه الرحمة

---

(١) الجزء ٣ ص ٣٤ من فتاويه المطبوعة

(حكم تولية طالب الافتاء)

هذا الحكم يعلم بالاولى مما ذكروه في القضاء ومن احسن ما كتب فيه ما قاله الامام الماوردي — من كبار ائمة الشافعية — في كتابه الاحكام السلطانية وعبارته :

فاما طلب القضاء وخطبة الولاية عليه فان كان من غير اهل الاجتهاد فيه كان تعرضه لطلبه محظوراً وصار بالطلب مجروحاً

وان كان من اهله على الصفة التي يجوز معها نظره فله في طلبه ثلاثة احوال احدها ان يكون القضاء في غير مستحقه اما لنقص علمه واما لظهور جوره فيخطب القضاء دفعاً لمن لا يستحقه ليكون فيمن هو بالقضاء احق فهذا سائغ لما تضمنه من دفع منكر ثم ينظر فان كان اكثر قصده ازالة غير المستحق كان مأجوراً وان كان اكثر قصده اختصاصه بالنظر فيه كان مباحاً

(والحالة الثانية) ان يكون القضاء في مستحقه ومن هو اهله ويريد ان يعزله عنه اما لعداوة بينهما واما ليجر بالقضاء الى نفسه نفعاً فهذا الطلب محظور وهو بهذا الطلب مجروح

(والحال الثالثة) ان لا يكون في القضاء ناظر وهو خال من وال عليه فيراعي حاله في طلبه فان كان لحاجته الى رزق القضاء المستحق في بيت المال كان طلبه مباحاً وان كان رغبة في اقامة الحق وخوفه ان يتعرض له غير مستحق كان طلبه مستحباً فان قصد بطلبه المباهاة والمنزلة فقد اختلف في كراهية ذلك مع الاتفاق على جوازه فكرهته طائفة لان طلب المباهاة والمنزلة في الدنيا مكروه قال الله تعالى « تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الارض ولا فساداً والعاقبة للمتقين »

وذهبت طائفة اخرى الى ان طلبه لذلك غير مكروه لان طلب المنزلة مما ابيح وقد رغب نبي الله يوسف عليه السلام الى فرعون في الولاية فقال « اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم » فطلب الولاية ووصف نفسه بما يستحقها به من قوله « اني حفيظ عليم » وفيه تأويلان (احدهما) حفيظ لما استودعتني عليم بما وليتني وهذا قول عبد الرحمن بن زيد (والثاني) انه حفيظ للحساب عليم بالالسن وهذا قول اسحق بن سفيان وخرج هذا القول عن حد التزكية لنفسه والمدح لها لانه كان لسبب دعا اليه انتهى

(اشتراط علم المولي باهلية من يوليه لصحة التولية)

قال الامام الماوردي : تمام الولاية معتبر باربعة شروط (احدها) معرفة المولي للمولى

بانه على الصفة التي يجوز ان يولى معها فان لم يعلم انه على الصفة التي يجوز معها تلك الولاية لم يصح تقليده (والشرط الثاني) معرفة المولي بما عليه المولى من استحقاق تلك الولاية بصفاته التي يصير بها مستحقا لها وانه قد تقلدها وصار مستحقا للاستنابة فيها . ثم ذكر بقية الشروط في تولية القضاء مما يدل في اعتبارها فيما هو دون تولية القضاء من الافتاء والتدريس والوعظ والارشاد والخطابة والامامة بالأولى ولله در المستوفي الاكبر في قوله

وما سقطت يوما من الدهر امة ... من الذل الا ان يسود لئيمها
اذا ساد فيها بعد ذل شريفها ... تصدى لها ذل ولا ذا دنيها
وما ارتقت العليا الا بحزمة ... تمر باولى الامور كريمها
وما كل ذي لب بماض حكمه ... ولكن الذي بالامور حكيمها

والحكمة اعطاء كل ذي حق حقه ووضع الاشياء في مواضعها واسناد الاعمال القادرين عليها مما يوجب سيادة الحق ، وانتشار العدل ، وحفظ نظام الامور من الخلل ، ويشفي نفوس الأمة من العلل ، وهذا ما يحكم به بداهة العقل ، وهو عنوان الحكمة التي قامت بها السموات والارض ، وثبت بها بقاء كل موجود ، وكل من تتبع تواريخ الامم وكان بصير القلب علم انه ما انقلب عرش مجدها الا لتفويض الاعمال لمن لا يحسن القيام عليها ووضع الاشياء في غير مواضعها ، ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم ﴿

(حكم الاشتراط في الفتوى ان تكون على مذهب معين)

يستفاد هذا مما اوضحه الامام الماوردي في الاحكام السلطانية في القضاء (قال) : ويجوز لمن اعتقد مذهب الشافعي رحمه الله ان يقلد القضاء من اعتقد مذهب ابي حنيفة لان للقاضي ان يجتهد برأيه في قضائه ولا يلزمه ان يقلد في النوازل والاحكام من اعتزى الى مذهبه . فاذا كان شافعيا لم يلزمه المصير في احكامه الى اقاويل الشافعي حتى يؤديه اجتهاده اليها ، فان اداه اجتهاده الى الاخذ بقول ابي حنيفة عمل عليه واخذ به

وقد منع بعض الفقهاء من اعتزى الى مذهب ان يحكم بغيره لما يتوجه اليه من التهمة والممايلة في القضايا والاحكام ، واذا حكم بمذهب لا يتعداه كان انفى للتهمة وارضى للخصوم

[قال الماوردي] وهذا وان كانت السياسة تقتضيه فاحكام الشرع لا توجبه « لان التقليد فيها محظور والاجتهاد فيها مستحق »

« ثم قال » ولو شرط المولي وهو حنفي او شافعي على من ولاه القضاء ان لا يحكم الا بمذهب الشافعي او ابي حنيفة فهذا على ضربين « احدهما » ان يشترط ذلك عموماً في جميع الاحكام فهذا شرط باطل سواء كان موافقاً لمذهب المولي او مخالفاً له ، واما صحة الولاية فان لم يجعله شرطاً فيها واخرجه مخرج الأمر او مخرج النهي وقال قد قلدتك القضاء فاحكم بمذهب الشافعي رحمه الله على وجه الأمر او لا تحكم بمذهب ابي حنيفة على وجه النهي كانت الولاية صحيحة والشرط فاسداً سواء تضمن امراً او نهياً ، ويجوز ان يحكم بما اداه اليه اجتهاده سواء وافق شرطه او خالفه

فان اخرج ذلك مخرج الشرط في عقد الولاية فقال قد قلدتك القضاء على ان لا تحكم فيه الا بمذهب الشافعي او بقول ابي حنيفة كانت الولاية باطلة لانه عقدها على شرط فاسد ، وقال اهل العراق تصح الولاية ويبطل الشرط ثم ذكر الضرب الثاني وفصل فيه الخطر ، وقال الامام ابو زيد الدبوسي — من اكابر اصحاب الامام ابي حنيفة رحمه الله — في كتاب تقويم الادلة في اواخر باب الاستحسان : « كان الناس في العصر الاول اعني الصحابة والتابعين والصالحين رضوان الله عليهم اجمعين يبنون امورهم على الحجة فكانوا يأخذون بالكتاب ثم بالسنة ثم باقوال من بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم مما يصح بالحجة فكان الرجل يأخذ بقول عمر رضي الله عنه في مسألة ثم يخالفه بقول علي رضي الله عنه في مسألة اخرى ، وقد ظهر من اصحاب ابي حنيفة رحمهم الله انهم وافقوه مرة وخالفوه اخرى على حسب ما تتضح لهم الحجة ، ولم يكن المذهب في الشريعة عمريا ولا علويا بل النسبة كانت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد كانوا قروناً اثنى عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخير فكانوا يرون الحجة لا علماءهم ولا نفوسهم فلما ذهب التقوى من عامة القرن الرابع وكسلوا عن طلب الحجج جعلوا علماءهم حجة واتبعوهم فصار بعضهم حنفياً وبعضهم مالكياً وبعضهم شافعياً ينصرون الحجة بالرجال ويعتقدون الصحة بالميلاد على ذلك المذهب ثم كل قرن اتبع عالمه كيفما اصابه بلا تمييز حتى تبدلت السنن بالبدع فضل الحق بين الهوى » اه كلام الامام ابي زيد وللحجة مقدمة بدعة التجئ اليها وقد نقل نحواً من ذلك شيخ الصوفية محيي الدين ابن عربي في الباب الثامن عشر وثلاثمائة من الفتوحات المكية في معرفة منزل نسخ الشريعة

المحمدية وغير المحمدية بالأغراض النفسية عافانا الله وإياك من ذلك فليحذر من يحب الإنصاف

(الحجر على المفتين و[illegible])

قال الحافظ أبو بكر الخطيب البغدادي : ينبغي للإمام أن يتصفح أحوال المفتين فمن صلح للفتيا أقره ومن لا يصلح منعه ونهاه أن يعود وتوعده بالعقوبة إن عاد، وطريق الإمام إلى معرفة من يصلح للفتوى أن يسأل علماء وقته ويعتمد أخبار الموثوق بهم انتهى

وقال الإمام الماوردي في الأحكام السلطانية : إذا وجد — المحتسب — من يتصدى لعلم الشرع وليس من أهله من فقيه أو واعظ ولم يأمن اغترار الناس به في سوء تأويل أو تحريف جواب أنكر عليه التصدي لما هو ليس من أهله وأظهر أمره لئلا يغتر به

وقال ابن القيم : من أفتى الناس وليس بأهل للفتوى فهو آثم عاص ومن أقره من ولاة الأمور على ذلك فهو آثم عاص قال أبو الفرج ابن الجوزي : ويلزم ولي الأمر منعهم وهؤلاء بمنزلة من يدل الركب وليس له علم بالطريق وبمنزلة من لا معرفة له بالطب وهو يطب الناس بل هؤلاء أسوأ حالاً من هؤلاء كلهم وإذا تعين على ولي الأمر منع من لم يحسن التطبب من مداواة المرضى فكيف بمن لم يعرف الكتاب والسنة ولم يتفقه في الدين ؟ قال : وكان شيخنا شديد الإنكار على هؤلاء فسمعته يقول : قال لي بعض هؤلاء : أجعلت محتسباً على الفتوى : فقلت له : يكون على الخبازين والطباخين محتسب ولا يكون على الفتوى محتسب انتهى

(دلالة العالم للمستفتي على غيره)

قال ابن القيم : هذا موضع خطر جداً فلينظر الرجل إلى من يدل عليه وليتق الله فإنه إما معين على الإثم والعدوان وإما معين على البر والتقوى وقد سأل الحافظ أبو داود — صاحب السنن — الإمام أحمد عن رجل يسأله عن مسألة أيدله على من يسأله فقال : إذا كان يعني الذي أرشده إليه متبعاً ويفتي بالسنة :

وذكر بعد ذلك أن العالم إن سأله السائل يدله على من يثق به يرشده في تلك المسألة لمحل الحاجة، ويجوز أن يرشده لأحد المذاهب لا يعرف سواه فلا يسعه أن يدله على عرضه أين كان بل إن علم المفتي فيها نصاً عن الله ورسوله فلا يسعه تركه إلى عرض السائل وإن

كانت من المسائل الاجتهادية ولم يترجح له قول ؛ يسع له ان يرجع لغرض السائل « وهذه المسألة جديرة بالمحافظة عليها » ويرجع الى مثلها في كلامه.

(هل يقول المفتي في المسألة قولان ونوادر في ذلك)

قال الامام ابن القيم في الاعلام : لا يجوز للمفتي تخيير السائل والقاؤه في الاشكال والحيرة بل عليه ان يبين بيانا مزيلا للاشكال متضمنا فصل الخطاب ولا يكون كالمفتي الذي سئل عن مسألة في المواريث فقال : يقسم بين الورثة على فرائض الله عز وجل : وكتبه فلان.

« وسئل آخر » عن صلاة الكسوف فقال : تصلى على حديث عائشة .

« وسئل آخر » عن مسألة من الزكاة فقال : اما اهل الايثار فيخرجون المال كله واما غيرهم فيخرج القدر الواجب عليه .

« وسئل آخر » عن مسألة فقال : فيها قولان . ولم يزد

« قال ابو محمد ابن حزم » وكان عندنا مفت اذا سئل عن مسألة لا يفتي فيها حتى يتقدمه من يكتب فيكتب هو : جوابي فيها مثل جواب الشيخ . فقدر ان مفتيين اختلفا في جواب فكتب تحت جوابيهما : جوابي مثل جواب الشيخين . فقيل له انهما قد تناقضا فقال : وانا اتناقض كما تناقضا .

« قال ابن القيم » وكان في زماننا رجل مشار اليه بالفتوى وهو مقدم في مذهبه وكان نائب السلطان يرسل اليه في الفتوى فيكتب : يجوز كذا او يصح كذا او ينعقد كذا بشرطه . فارسل اليه يقول : تأتينا فتاوى منك فيها : يجوز او ينعقد او يصح بشرطه نحن لا نعلم شرطه فاما ان تبين شرطه واما ان لا تكتب ذلك « قال » وسمعت شيخنا ابن تيمية يقول : كل احد يحسن ان يفتي بهذا الشرط وهذا ليس بعلم ولا يفيد سوى حيرة السائل وتنكده

(وكذلك) قول بعضهم في مسائل النزاع : يرجع في ذلك الى رأي الحاكم : « قال » فيا سبحان الله ، وكان الحاكم شريحا واشباهه لما كان مرد احكام الله ورسوله الى رأيه فضلا عن حكام زماننا والله المستعان

« وسئل » بعضهم عن مسألة فقال : فيها خلاف : فقيل : كيف يعمل المفتي (فقال) يختار له القاضي احد المذهبين

«قال ابو عمرو ابن الصلاح» كنت عند ابي السعادات ابن الاثير الجزري فحكى لي عن بعض المفتين انه سئل عن مسألة فقال فيها قولان فأخذ يزري عليه وقال: هذا حيد عن الفتوى ولم يخلص السائل من عمايته ولم يأت بالمطلوب. وللبحث تتمة فليرجع اليه في كلامه رحمه الله

اجناس الفتيا التي ترد على المفتين

قال الامام ابن القيم في اعلام الموقعين: المفتي اذا سئل عن مسألة فاما ان يكون قصد السائل فيها معرفة حكم الله ورسوله ليس الا، واما ان يكون قصده معرفة ما قاله الامام الذي شهر المفتي نفسه باتباعه وتقليده دون غيره من الائمة، واما ان يكون مقصوده معرفة ما ترجح عند ذلك المفتي وما يعتقده فيها لاعتقاده علمه ودينه وامانته فهو يرضى بتقليده هو وليس له غرض في قول امام بعينه، فهذه اجناس الفتيا التي ترد على المفتين

ففرض المفتي في القسم الاول ان يجيب بحكم الله ورسوله اذا عرفه وتيقنه لا يسعه غير ذلك

واما في القسم الثاني فاذا عرف قول الامام بنفسه وسعه ان يخبر به ولا يحل له ان ينسب اليه القول ويطلق عليه انه قوله بمجرد ما يراه في بعض الكتب التي حفظها او طالعها من كلام المنتسبين اليه فانه قد اختلطت اقوال الائمة وفتاويهم باقوال المنتسبين اليهم واختياراتهم فليس كل ما في كتبهم منصوصاً عن الائمة بل كثير منه يخالف نصوصهم، وكثير منهم لا نص لهم فيه، وكثير منه يخرج على فتاويهم، وكثير منه افتوا به بلفظه او بمعناه

فلا يحل لاحد ان يقول هذا قول فلان ومذهبه الا ان يعلم يقيناً انه قوله ومذهبه فما اعظم خطر المفتي واصعب مقامه بين يدي الله تعالى

واما القسم الثالث فانه يسعه ان يخبر المستفتي بما عنده في ذلك مما غلب على ظنه انه الصواب بعد بذل جهده واستفراغ وسعه ومع هذا فلا يلزم المستفتي الاخذ بقوله وغايته انه يسوغ له الاخذ به، فلينزل المفتي نفسه في منزلة من هذه المنازل الثلاث وليقم بواجبها فان الدين دين الله والله سبحانه لابد سائله عن كل ما افتى به والله المستعان

ولا يجب في القسم الأول على المفتي ان يفتي بلفظ النص بل هو الاولى ما امكنه

فانه يتضمن الحكم والدليل مع البيان التام وقد كان هو عمدة الصحابة وتابعيهم الذين يرجعون اليه وقد اسهب في ذلك بما لا يستغنى عنه فليراجع

([illegible] بمراجعة كتب المذاهب واختلاف الائمة)

في جمع الجوامع وشرحه « ونرى « ان الشافعي ومالكا وابا حنيفة والسفيانين « الثوري وابن عيينة » واحمد « ابن حنبل » والاوزاعي واسحق « ابن راهويه » وداود « الظاهري » وسائر ائمة المسلمين [1] على هدى من ربهم » في العقائد وغيرها وقال الشعراني في الميزان وقد اجمعوا على انه لا يسمى احد عالما الا ان بحث عن منازع اقوال العلماء وعرف من اين اخذوها من الكتاب والسنة » وقال « ان الشريعة كالشجرة العظيمة المنتشرة واقوال علمائها كالفروع والاغصان » وقال « ان الشريعة المطهرة جاءت شريعة سمحة واسعة شاملة قابلة لسائر اقوال ائمة الهدى من هذه الامة المحمدية وان كلا منهم فيما هو عليه في نفسه على بصيرة من امره وعلى صراط مستقيم وان اختلافهم انما هو رحمة بالامة » وقال » نقلا عن الامام الزركشي في آخر كتاب « القواعد » له ما مثاله : ان مطلوب الشرع الوفاق ورد الخلاف اليه ما امكن كما نبه عليه جمع من الائمة من اهل الورع والتقوى كابي محمد الجويني واضرابه فانه صنف كتابه المحيط ولم يلتزم فيه المشي على مذهب معين انتهى ثم قال الشعراني « وقد بلغنا انه كان يفتي الناس بالمذاهب الاربعة الشيخ الامام الفقيه المحدث المفسر الاصولي الشيخ عبد العزيز الديريني [2] وشيخ الاسلام عز الدين ابن جماعة المقدسي والشيخ العلامة الشيخ شهاب الدين البرلسي والشيخ علي النبتيتي الضرير ، ونقل الشيخ جلال الدين السيوطي رحمه الله عن جماعة كثيرة من العلماء انهم كانوا يفتون الناس بالمذاهب الاربعة لاسيما العوام الذين لا يتقيدون بمذهب ولا يعرفون قواعده ولا نصوصه ويقولون حيث وافق فعل هؤلاء العوام قول عالم فلا بأس به انتهى وذكر التاج السبكي في طبقات الشافعية في ترجمة امام الحرمين ما مثاله والامام لا يتقيد بالاشعري ولا بالشافعي لاسيما في البرهان وانما يتكلم على حسب تأدية نظره واجتهاده :

---

[1] ومنهم ائمة السلالة الطاهرة الذين حمل عنهم علم جم وفقه كبير ونقل مذاهبهم في نيل الاوطار للامام الشوكاني وفي غيره ايضاً

[2] قال الشعراني وقد صنف — الديريني — كتاب الدرر الملتقطة في المسائل المختلف فيها على المذاهب الاربعة

وذكر في ترجمة ابن الجوزي (١) انه [illegible] كتاباً [illegible] (٢) القول انه [illegible] الاحاديث لا [illegible] صاحب العقيدة [illegible] كما ذكره الشعراني . وذكر في ترجمة ابن جرير ان المحمدين الاربعة — ابن جرير وابن خزيمة وابن نصر وابن المنذر [illegible] الاجتهاد [illegible] مجتهداً مطلقاً لا يقلد احداً [illegible] الاختيارات [illegible] . وقد عد السيوطي في حسن المحاضرة من المجتهدين في مصر [illegible] السبكي [illegible] من هؤلاء [illegible] الاجتهاد . وكان [illegible] الكثير من هؤلاء [illegible] الكتب [illegible] السبكي في طبقاته في ترجمة الامام عز الدين بن عبد السلام ان [illegible] من مصر [illegible] عشرة جمال [illegible] كتب [illegible] . وقال الشعراني ايضاً ان كل [illegible] الشريعة المطهرة — [illegible] بمذهب واحد [illegible] في الدين [illegible] الامام الاعظم ابو حنيفة رضي الله عنه يقول ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو [illegible] على الرأس والعين وما جاءنا عن الصحابة تخيرنا وما جاءنا عن غيرهم فهم رجال ونحن رجال . [illegible] ذلك [illegible] امامه [illegible] الشريعة . ثم قال وكان الامام [illegible] يقول [illegible] من الائمة [illegible] الناس [illegible] في حديث صحيح [illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم امر احداً من الامة بالتزام مذهب معين لا يرى خلافه [illegible] . وكان [illegible]

---

(١) [illegible]

وبالجملة فلا سبيل للوقوف الى الغاية المقصودة الا بتتبع مطاوي الكتب وخبايا الاسفار ، وبمقدار رفع الهمة في ذلك بمقدار نور الافكار ، قال العلامة العطار في حواشيه على شرح جمع الجوامع [١] من تأمل ماذكره من تصدى لتراجم الائمة الاعلام علم انهم كانوا مع رسوخ قدمهم في العلوم الشرعية والاحكام الدينية لهم اطلاع عظيم على غيرها من العلوم واحاطة تامة بكلياتها وجزئياتها حتى في كتب المخالفين في العقائد والفروع يدل على ذلك النقل عنهم في كتبهم والتصدي لدفع شبههم واعجب من ذلك تجاوزهم الى النظر في كتب غير الاسلام [٢] «قال» واني وقفت على مؤلف للقرافي [٣] رد فيه على اليهود شبهاً اوردوها على الملة الاسلامية لم يأت في الرد عليهم الا بنصوص التوراة وبقية الكتب السماوية حتى يظن الناظر في كتابه انه كان يحفظها عن ظهر قلب ثم هم مع ذلك ما اخلوا في تثقيف السنتهم وترقيق طباعهم من رقائق الاشعار ولطائف المحاضرات ، «ثم قال» ومن نظر ما انتهى اليه الحال في زمن وقفنا فيه على ان نسبتنا اليهم كنسبة عامة زمانهم فان قصارى امرنا النقل عنهم بدون ان نخترع شيئاً من عند انفسنا ، وليتنا وصلنا الى هذه المرتبة بل اقتصرنا على النظر في كتب محصورة الفها المتأخرون المستمدون من كلامهم نكررها طول العمر ولا تطمح نفوسنا الى النظر في غيرها حتى كأن العلم انحصر في هذه الكتب فلزم من ذلك انه اذا ورد علينا سؤال من غوامض علم الكلام تخلصنا منه بان هذا كلام الفلاسفة ولا ننظر فيه او مسألة اصولية قلنا لم نرها في جمع الجوامع فلا اصل لها او نكتة ادبية قلنا هذا من علوم اهل البطالة وهكذا فصار العذر اقبح من الذنب . واذا اجتمع جماعة منا في مجلس فمخاطباتهم مخاطبات العامة والحديث حديثهم ، فاذا جرى في المجلس نكتة ادبية ربما لا نتفطن لها وان تفطنا لها بادرنا في انكارها والاغماض عن قائلها ان كان مساوياً . وايذائه بشناعة القول ان

---

[١] صفحة ٥٠٣ جزء ٢

[٢] وقد قال السبكي في طبقاته في ترجمة كمال الدين ابن يونس شارح التنبيه — احد ائمة الشافعية — تبحر في جميع فنون العلم وتفرد بعلم الرياضي ، وكان اهل الذمة يقرؤون عليه التوراة والانجيل ويشرح لهما هذين الكتابين شرحاً يعترفون انهم لا يجدون من يوضحهما لهم مثله ، وكان اثير الدين الابهري — مؤلف ايساغوجي — يفضل ابن يونس على الغزالي انظر ترجمته رحم الله الجميع

[٣] طبع

كان ادنى وسيلة الى عدم الحشمة وقلة الادب ، واما اذا وقعت مسألة غامضة من اي علم كان عند ذلك للنوم اللائمة وتكثر العلة ويتكدر المجلس وتقل القلوب بالجفاء وتغمض العيون على القذى ، فالمرموق بنظر العامة الموسوم باسم العالم اما ان يتستر بالسكوت حتى يقال ان الشيخ مستغرق او يهذو بما تمجه الاسماع ، وتنفر عنه الطباع ،

« وقالوا سكرنا بحب الآله   وما اسكر القوم الا القصع »

فحالنا الآن كما قال ابن الجوزي في مجلس وعظه ببغداد

« ما في الديار اخو وجد نطارحه   حديث نجد ولا خل نجاريه »

وهذه نفثة مصدور فنسأل الله السلامة واللطف اه كلام العطار ، وموضع الاستشهاد منه تأسفه على الاقتصار على ما في الايدي من الاسفار مع ان الدواء الناجع هو التنقيب عن خبايا ايدي السلف من جواهر العلم ونفائس الفوائد وبالله التوفيق

(اعراض المفتي عن المقلد الخصيم)

المقلد هو الذي لا يصل فهمه الى درك الدليل او لا يريد ان يصل ، لبعده بالفطرة عن الحذق باولي العلم ، او لقعود التخلف عن السباق مع ابطال النظر واقطاب الفهم ، فلما ماتت قوته النظرية كان قصاراه ان يقف مع قول مفتيه ، ويجرع من الكاس الذي يسقيه ، فاذا تمسك بالدليل واحد يخوض مع الابطال في القال والقيل ، دل على تطفله وفضوله وتحمله وتعديه طوره ، ومجاوزته قدره ، فلهذا يجب الاعراض عنه وان تحجب محديات المناظرة منه ولما ابتلي الائمة قديما بالمقلدة الماحكين ، وضعوا لهم حدودا توقفهم ، قال الامام حجة الاسلام ابو حامد الغزالي رضي الله عنه وارضاه في كتابه فيصل التفرقة (١) وشرط المقلد ان يسكت ويسكت عنه لانه قاصر عن سلوك طريق الحجاج ولو كان اهلا له كان مستتبعا لا تابعا واماما لا مأموما ، فان خاض المقلد في المحاجة فذلك منه فضول ، والمشتغل به صار كضارب في حديد بارد ، وطالب لصلاح الفاسد « وهل يصلح العطار ما افسد الدهر » اه وقال رضي الله عنه في « احياء علوم الدين » في الباب الرابع من ابواب العلم في مباحث المناظرة وتلبيس المناظرين ما مثاله : اعلم ان هؤلاء قد يستدرجون الناس الى ذلك بان غرضنا من المناظرات المباحثة عن الحق ليتضح فان الحق مطلوب والتعاون في النظر في العلم وتوارد الخواطر

---

(١) مطبوع مرارا

مفيد ومؤثر وهكذا كانت عادة الصحابة رضي الله عنهم في مشاوراتهم « ثم قال » ويطلعك على هذا التقييد ما أذكره وهو ان التعاون على طلب الحق من الدين ولكن له شروط وعلامات ثمان (الى ان قال) الثالث ان يكون المناظر مجتهداً يفتي برأيه لا بمذهب الشافعي وأبي حنيفة وغيرهما حتى اذا ظهر له الحق من مذهب ابي حنيفة ترك ما يوافق رأي الشافعي وافتى بما ظهر له كما كان يفعله الصحابة رضي الله عنهم والائمة فاما من ليس له رتبة الاجتهاد وانما يفتي فيما يسأل عنه ناقلاً عن مذهب صاحبه فلو ظهر له ضعف مذهبه لم يتركه فاي فائدة له في المناظرة ومذهبه معلوم وما يشكل عليه يقول لعل عند صاحب مذهبي جواباً عن هذا فاني لست مستقلاً بالاجتهاد اه

وقال رضي الله عنه ايضاً في كتاب آداب تلاوة القرآن في اسباب موانع الفهم الاربعة ما مثاله في الثاني (ثانيها) ان يكون مقلداً لمذهب سمعه بالتقليد وجمد عليه وثبت في نفسه التعصب له بمجرد الاتباع للمسموع من غير وصول اليه ببصيرة ومشاهدة فهذا شخص قيده معتقده عن ان يجاوزه فلا يمكنه ان يخطر بباله غير معتقده فصار نظره موقوفاً على مسموعه ، فان لمع برق على بعد وبدا له معنى من المعاني التي تباين مسموعه حمل عليه شيطان التقليد حملة وقال كيف يخطر هذا ببالك وهو خلاف معتقد آبائك فيرى ان ذلك من غرور الشيطان فيتباعد منه ويحترز عن مثله ولمثل هذا قالت الصوفية : ان العلم حجاب ، وارادوا بالعلم العقائد التي استمر عليها اكثر الناس بمجرد التقليد او بمجرد كلمات جدلية حررها المتعصبون للمذاهب والقوها اليهم انتهى

وما أجمل قول الجاحظ عليه الرحمة : [1] التقليد مرغوب عنه في حجة العقل منهي عنه في القرآن . بصرك الله ، عكسوا الامور كما ترى ونقضوا العادات وذلك انا لا نشك ان من نظر وبحث وقابل ووزن الحق بالشبهة وأولى بالحجة انتهى

(ما على المقلد اذا عرف الحق)

قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله في كتاب الايمان : اتفق العلماء على انه اذا عرف الحق لا يجوز له تقليد احد في خلافه وانما تنازعوا في جواز التقليد للقادر على الاستدلال وان كان عاجزاً عن اظهار الحق الذي يعلمه فهذا يكون كمن عرف ان دين الاسلام حق وهو بين النصارى فاذا فعل ما يقدر عليه من الحق لا يؤاخذ بما عجز عنه

---

[1] من فصل للجاحظ مطبوع مع فصول له في الجزء الثاني من الكامل للمبرد

وأما إن كان المتبع للمجتهد عاجزاً عن معرفة الحق على التفصيل وقد فعل ما يقدر عليه مثله من الاجتهاد في التقليد فهذا لا يؤاخذ إن أخطأ كما في القبلة

وأما إن قلد شخصاً دون نظيره بمجرد هواه ونصره بيده ولسانه من غير علم أن معه الحق فهذا من أهل الجاهلية وإن كان متبوعه مصيباً لم يكن عمله صالحاً وإن كان متبوعه مخطئاً كان آثماً وهؤلاء من جنس مانع الزكاة ومن عبد الدينار والدرهم والقطيفة والخميصة فإن ذلك لما أحب المال حباً منعه عن عبادة الله وطاعته صار عبداً له وكذلك هؤلاء فيكون فيه شرك أصغر ولهم من الوعيد بحسب ذلك وفي الحديث «إن يسير الرياء شرك» اهـ كلامه عليه الرحمة

(تورع المفتي عن التضليل والتكفير)

مما يريك العالم كبر عقله وشدة ورعه ومصادقة له [illegible] ويريك غيره جهله وحمقه وتسرعه فتواه بذلك يهوي من حالق بأن يتبع الهوى بمرقاة عقل أو يجر حتى يعقد اللسان ضبطه الإنسان «وهل يكب الناس في النار على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم»

قال حجة الإسلام الغزالي في «فيصل التفرقة»: إذا رأيت الفقيه الذي بضاعته مجرد الفقه يخوض في التكفير والتضليل فأعرض عنه ولا تشغل به قلبك ولسانك فإن التحدي بالعلوم غريزة في الطبع لا يصبر عنه الجهال ولأجله كثر الخلاف بين الناس ولو سكت من لا يدري لقل الخلاف بين الخلق

(وقال) رضي الله عنه أيضاً: واعلم أنه لا تكفير في الفروع أصلاً إلا في مسألة واحدة وهي أن ينكر أصلاً دينياً علم من الرسول صلى الله عليه وسلم بالتواتر ثم قال: ولو أنكر ما ثبت بأخبار الآحاد فلا يلزمه به الكفر ولو أنكر ما ثبت بالإجماع فهذا فيه نظر لأن معرفة كون الإجماع حجة قاطعة فيه غموض يعرفه المحصلون لعلم أصول الفقه وأنكر النظام كون الإجماع حجة أصلاً فصار كون الإجماع حجة مختلفاً فيه

«وقال أيضاً» ولا بادر بكفر المتأولين ما داموا ملازمين قانون التأويل وكيف يلزم الكفر بالتأويل وما من فريق من أهل الإسلام إلا وهو مضطر إليه

«وقال أيضاً» كأن كل واحد لا يرضى بما ذكره الخصم ولا يراه دليلاً قاطعاً وكيفما

---

(١) القول هو بمعنى قول مقرراً . لو سكت من لا يعلم لسقط الاختلاف

كان فلا ينبغي ان يكفر كل فريق خصمه

وكتابه رضي الله عنه هذا فيصل التفرقة مما يهم كل نبيه مراجعته ومطالعته فلم يؤلف في موضوعه مثله

وقال الامام ابن حزم في الفصل [1] في الكلام فيمن يكفر ولا يكفر ما مثاله: اختلف الناس في هذا الباب الى ان قال وذهبت طائفة الى انه لا يكفر ولا يفسق مسلم بقول قاله في اعتقاد او فتيا وان كل من اجتهد في شيء من ذلك فدان بما رأى انه الحق فانه مأجور على كل حال ان اصاب الحق فاجران وان اخطأ فاجر واحد وهذا قول ابن ابي ليلى وابي حنيفة والشافعي وسفيان الثوري وداود بن علي رضي الله عن جميعهم وهو قول كل من عرفنا له قولاً في هذه المسألة من الصحابة رضي الله عنهم «الى ان قال» والحق هو ان كل من ثبت له عقد الاسلام فانه لا يزول عنه الا بنص او اجماع. واما بالدعوى والافتراء فلا «الى ان قال» واما من كفر الناس بما تؤول اليه اقوالهم فخطأ لانه كذب على الخصم وتقويل له ما لم يقل به وان لزمه فلم يحصل على غير التناقض فقط والتناقض ليس كفراً

وتتمة البحث من نفائس العلم فليرجع اليها

(اتقاء المفتي التسرع في دعوى الاجماع)

كثيراً ما يمر بمطالع كتب الفقه دعوى الاجماع في بعض المسائل او النوازل ولا مستند له الا عدم العلم بالخلاف فيأتي اسير التقليد فيتلقفه على اعتقاد انه مجمع عليه مع ان الواجب عليه التنقيب جهده في سائر بطون الكتب الفروعية واسفار الخلاف حتى يقف على الحقيقة في دعوى الاجماع او يحذف كلمة الاجماع من نقله وعزوه فلقد ظهر لنا بعض من المسائل المدعى فيها الاجماع ان وراءها خلافاً في مذاهب اخرى بل في كتب منتشرة قد لا تخطر ببال ناقله منها. وما الطف قول شمس الدين الاصفهاني — من كبار ائمة الشافعية — في شرح المحصول: الحق تعذر الاطلاع على الاجماع الا اجماع الصحابة حيث كان المجمعون وهم العلماء منهم في قلة واما الآن وبعد انتشار الاسلام وكثرة العلماء فلا مطمع للعلم به قال: وهو اختيار «الامام» احمد مع قرب عهده من الصحابة وقوة حفظه وشدة اطلاعه على الامور النقلية قال: والمنصف

---

[1] جزء ٣ ص ٢٤٧

بحيث لا يعثر له من الأخبار الا ما يجده مكتوبا في الكتب ومن البين انه لا يحصل الاطلاع عليه الا بالسماع ، او النقل عن العلماء الذين اليهم ولا سبيل الى ذلك الا في عصر الصحابة والتابعين واما من بعدهم فلا انتهى كلام الاصفهاني .

ووجه الانتقاد وقوع دعوى الاجماع في بعض الأحكام بعنوان الاجماع [illegible] ما عرفه الأصوليون [illegible] حكم من الأحكام . ولذا قال شيخ الاسلام تقي الدين ابن تيمية : واذا قال بعض الأئمة الفقهاء الأربعة [illegible] فليس حجة لازمة ولا اجماعا باتفاق المسلمين بل قد ثبت عنهم رضي الله عنهم انهم نهوا الناس عن تقليدهم وأمروهم اذا رأوا قولا في الكتاب أو السنة أقوى من قولهم ان يأخذوا بما دل عليه الكتاب والسنة ويدعوا أقوالهم ، ولهذا كان الأكابر من أتباع الأئمة الأربعة لا يزالون اذا ظهر لهم دلالة الكتاب والسنة على ما يخالف قول متبوعهم اتبعوا ذلك انتهى . وفي معالم الأصول . [illegible] حجية ما لم يعلم [illegible] خلاف [illegible] المتقدمين ولا يكفي عدم العلم بخلافهم فان الاجماع هو الوفاق لا عدم العلم بالخلاف انتهى

وقال حجة الاسلام الغزالي في كتابه (فيصل التفرقة بين الاسلام والزندقة) : واما ما يستند الى الاجماع فمدرك ذلك من أغمض الأشياء اذ شرطه أن يجتمع أهل الحل والعقد في صعيد واحد في أمر واحد اتفاقا بصريح ثم يستمروا عليه مدة عند قوم والى انقراض العصر عند قوم ومن هذا عز حد الاجماع . وقال ايضا : اذا لم يعرف ذلك [illegible] اسم الاجماع من مطالعة الكتب المصنفة في الاختلاف والاجماع فلا [illegible] ثم لا يحصل العلم بذلك بمطالعة التصانيف ولا تصفحها اذ لا يحصل تواتر الاجماع به (قال) وقد صنف أبو بكر الفارسي رحمه الله كتابا في مسائل الاجماع وأنكر عليه كثير منه وخولف في بعض تلك المسائل (قال) فاذن من خالف الاجماع ولم يثبت عنده بعد فهو جاهل مخطئ وليس بمكذب فلا يمكن تكفيره ، والاشتغال بمعرفة التحقيق في هذا ليس بيسير انتهى كلام حجة الاسلام . فتأمله جدا .

(المفتي والعالم بمنأى من ربقة المذاهب)

ان العالم الذي أخذ الله عليه الصدع بالحق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأن لا يخاف في الله لومة لائم كان [illegible] من أعداء نفسه [illegible] والتحزب للمذاهب والألقاب [illegible] بل [illegible] بالنظر في الأدلة للأحكام والوقوف في ما عليه المذاهب

والاقوال، وتحري الاقوى والاصلح بدون تعصب لامام ولا تحزب لآخر نبزوه بالاجتهاد وسموه (مجتهداً) تهكماً مع انه بذلك لم يقم الا بواجبه ، وان ابصروا ميله لعلوم الحكمة والرياضيات وتشويقه لاقتطاف ثمارها سموه (طبيعياً) وان رأوا حثه عَلَى البذل والانفاق في سبيل الله ودعوة الموسرين للعطف عَلَى البؤساء لقبوه (اشتراكياً) وان سمعوه يتكلم في الزيارة المشروعة وينعى عما حدث فيها او يتكلم عَلَى انواع الشرك المقررة في السنة او يزجر عن الغلو في الصالحين دعوه (وهابياً) [1] الى غير ذلك من الالقاب القوارص ونبزهم بالالقاب لكل من لا يتابعهم على ميولهم ولا يسايرهم عَلَى اهوائهم ، ولهم في كل عصر لقب جديد ونبز مبتدع

العالم الحكيم لا يأبه لهذه الالقاب اذا صدع بالحق ولا تحزنه بل يعيرها اذناً صماء لانه يجري على ما يوجبه دينه ، ويفرضه عليه يقينه ، وهو ما يرضي ربه وخالقه تعالى فان رضاء الناس غاية لا تدرك وانى للعاقل ارضاء اهواء متباينة ومنازع متناقضة

ما الذ الالقاب التي تتنوع عَلَى المصلح وهو ساع الى خير قومه وما اوجب الترحيب بها والائتساء بما لقي اسلافه من الانبياء ووارثيهم ما يعزيه ويسليه وكفى بهم اسوة وما اصدق قول ورقة بن نوفل للنبي صلى الله عليه وسلم : انه لم يأت احد بمثل ما جئت به الا عودي : رواه البخاري

الثبات في تحمل المشاق والصبر الجميل من الواجبات المحتمة عَلَى كل داع الى حق والصدمات التي يجدها ابطال الفداء يجب ان تقابل بثبات الجأش وان تكون كلما تجددت باعثة عَلَى تجدد القوى ومواصلة العمل والسير ولذلك قرن تعالى في كتابه الحكيم التواصي بالحق بالتواصي بالصبر وصدق الله العظيم

(خوض بعض المفتين في التلفيق)

مسألة التلفيق من غرائب المسائل المحدثة المفرعة عَلَى القول بلزوم التمذهب للعامي وهو قول لا يعرفه السلف ولا ائمة الخلف وقد اتفقت كلمتهم عَلَى ان العامي لا مذهب له ومذهبه مذهب مفتيه .

---

(١) الوهابية طائفة مقلدة للامام احمد بن حنبل رضي الله عنه ولاصحابه وحاملي فقهه في الاصول والفروع وقد بسط الكلام في شرح احوالهم العلامة الجبرتي مفتي مصر في تاريخه وهو متداول ومطبوع مراراً

ترى الفقيه من القرون المتأخرة لو سئل عن رجل مسح بعض رأسه اقل من ربعه في وضوئه ثم خرج منه دم وصلى يجيبك بأن صلاته باطلة لأن عبادته ملفقة من مذهبين تخرج منها قول لا يقول به أحد. هذا قصارى جوابه في فتواه ويبالغ فيه على دعواه مع انه لو فرض انها حدثت في القرون الاولى وسئل عنها مفت سلفي لكان نظره في صحتها او فسادها الى الدليل المتبع فيها او الخاطر ولا يمكن ان يتصور ان يقول له: عملك هذا ملفق او هذا تلفيق وانما يأمره بالفعل او بالترك استدلالا واستنباطا فحسب، ولذلك لم يسمع لفظ التلفيق في كتب الائمة لا في موطآتهم ولا في امهاتهم بل ولا في كتب اصحابهم ولا اصحاب اصحابهم. ولا يبعد ان يكون حدوث البحث في التلفيق في القرن الخامس ايام اشتد التعصب والتحزب ودخلت السياسة في التمذهب، واضطر الفقهاء للاعتياش والارتياش الى التشدد في ذلك والتصلب، فمسألة التلفيق اذن من مسائل الفروع ولا دخل لها في الاصول لأن مسائل الاصول هي مباحثه التي يستفاد منها معرفة الاستنباط والاستنتاج ولاجله سمي الاصول اصولا فمن اين ان يعد منها التلفيق الذي لم يخطر على بال احد في القرون الاولى ولا سمع به،

اتسع امر التأليف في القرون المتأخرة ودخل في كل فن ما ليس منه بل امتلأ مثل الفقه من الفرضيات أضعاف أضعاف الواقعيات فلو وازنت بين اساليب المتقدم والمتأخر في اي فن شئت لرأيت من تباينهما عجبا وكانت كتب المتقدمين لا تخرج عن موضوع الفن قيد شبر حتى استفحل الأمر في التأليف وشكى من جرائه ما شكاه غير واحد من الحكماء، وقد الم بشيء من ذلك القاضي ابن خلدون في مقدمة تاريخه،

والمقام لا يتسع لبسط هذا البحث الذي تجاذبه امور عديدة لمعرفة منشأه من اختلاف السياسة ودخول عوائد الامة الغالبة على المغلوبة قسرا وتبدل الأماني والمطالب حيث تلقي العلم والتوصل اليه فاختلط جيد الكتب بغيره وتبدلت العادات بغيرها وحليت المراتب والمناصب وقفا على هذا السبيل لا تنال بغيره فتبعتها سيرة امر التأليف تجري على طبقها ومنهاجها وصار التمذهب امرا راسخا وتعددت لاجله الفرق الاسلامية كل يدعو لامامه ورائده السياسة والسيادة حتى نشأ نوع من الولاء لا عهد للسلف به بل بينه وبين سيرهم الاول بعد المشرقين، وفي ذلك كلام من دقق في فلسفة التاريخ واستقرأ قواعد العمران وسنن الدول واستكنه رجالها وطبقة العصر والمصر في كل مملكة وجيل وقد بسطناه في مقالة خاصة والقصد ان التلفيق الذي بحث عنه المتأخرون

ينبغي للمفتي اذا استفتي عن مسألة منه ان ينظر الى مأخذها من الكتاب او السنة او غيرهما كما المنقول منها وما تفرع، الى القول بالتلفيق بطلاناً او قبولاً فضلاً عن جميع المسائل على ان ما يستفتونه بعد تفقهاً يقطع النظر عما ذكر في شأنه ربما يرجع الى نوع الرخص التي يحب الله ان تؤتى وللشيخ مرعي الحنبلي — احد فقهاء الحنابلة المشاهير — رسالة في جواز التلفيق للعوام وهي رسالة نفيسة قال : لان العلماء نصوا على ان العامة ليس لهم مذهب معين (قال) وقد قال غير واحد لا يلزم العامي ان يتمذهب بمذهب معين كما لم يلزم في عصر اوائل الامة (قال) والذي اذهب اليه واختاره القول بجواز التقليد في التلفيق لا بقصد تتبع ذلك بل من حيث وقع ذلك اتفاقاً خصوصاً من العوام الذين لا يسعهم غير ذلك (الى ان قال) ولا يسع الناس غير هذا ويؤيده انه في عصر الصحابة والتابعين رضي الله تعالى عنهم مع كثرة مذاهبهم وتباينها لم ينقل عن احد منهم انه قال لمن استفتاه الواجب عليك ان تراعي احكام مذهب من قلدته لئلا تلفق في عبادتك بين مذهبين فاكثر بل كل من سئل منهم عن مسألة افتى السائل بما يراه مجيزاً له العمل من غير تفحص ولا تفصيل ولو كان ذلك لازماً لما اهملوه خصوصاً مع كثرة تباين اقوالهم انتهى

وقال العلامة الدسوقي — من فقهاء المالكية في مصر — في حواشيه على شرح خليل في بحث الفتوى من حاشية الكتاب ما مثاله وفي كتاب الشبرخيتي امتناع التلفيق والذي حفظناه من شيخنا نقلا عن شيخه الصغير وغيره ان الصحيح جوازه وهو فسحة (قال الدسوقي) وبالجملة ففي التلفيق في العبادة الواحدة من مذهبين طريقتان المنع وهو طريقة المصاروة والجواز وهو طريقة المغاربة ورجحت انتهى

وقال ابن الهمام في فتح القدير في كتاب ادب القاضي : المقلد له ان يقلد اي مجتهد شاء « ثم قال » : وانا لا ادري ما يمنع هذا « اي تتبع الرخص واخذ العامي في كل مسألة بقول مجتهد اخف عليه » من النقل او العقل ، وكون الانسان يتبع ما هو اخف على نفسه من قول مجتهد مسوغ له الاجتهاد ما علمت من الشرع ذمه عليه وكان صلى الله عليه وسلم يحب ما خفف عن امته انتهى

نقول هذا اقناعاً لمن يهوله امر التلفيق ويزعم ان الحكم بجوازه شيء نكر مع ان امامه من الافاضل ممن نكبره من قال بجوازه بل من صححه ورجحه أما نحن فانا نرى الرجوع في مسألة الى سنة السلف والائمة في مثلها كما اوضحناه وبالله التوفيق

(ما يعمل المفتي اذا فحص اقوال الائمة)

ذكر ابو عمر محمد بن يوسف الكندي في كتاب القضاة الذين ولوا قضاء مصر في تولية قضاء مصر لابراهيم بن الجراح سنة ٢٠٥ ما مثاله : عن عمر بن خالد قال : ما صحبت احدا من القضاة كان افقه من ابراهيم بن الجراح كنت اذا عملت له المحضر فقرأته عليه اقام عنده ماشاء الله ان يقيم ، ويرى فيه رأيه فاذا اراد ان يقضي به دفعه الي لانشئ منه سجلا فاجد في ظهره : قال ابو حنيفة كذا وفي سطر قال ابن ابي ليلى كذا وفي سطر آخر قال ابو يوسف كذا وقال مالك كذا ثم اجد في سطر منها علامة له كالخطة فاعلم ان اختياره وقع على ذلك القول وشيء الحكم عليها . هي وهكذا ينبغي للمفتي ان ينظر في الواقعة الى اقوال الائمة ويفحصها وينعم النظر حتى اذا استبان له قوة احدها توكل الى الله تعالى وافتى به والائمة جميعهم لم يغادروا في النوازل بذل الوسع حتى جمع من اقوالهم الكثير الطيب ووجد فيها الامثل فالامثل ووعى الاوائل ما تجدد في عهدهم وما المأثور مما كان عن الصحب رضوان الله عنهم فكذلك يتخير فيه الامثل وما كان عن الحضرة النبوية فذاك فصل الخطاب والله الموفق

(تتمة لآداب في هذا الباب)

لخصها العلامة الحنبلي ما جاء في الاقناع وشرحه[1] في كتاب القضاء والفتيا مما لم نذكره قبل وعبارته مع شرحه

يحرم الحكم والفتيا بقول او وجه من غير نظر في الترجيح اجماعا[2]

ويجب ان يعمل بموجب اعتقاده فيما له وعليه اجماعا قاله الشيخ[3]

وينبغي ان يكون بصيراً بمكر الناس وخداعهم حذراً مما يصورونه في سؤالاتهم لئلا يوقعوه في المكروه

ويحرم تساهل مفت وتقليد معروف به (قال الشيخ): لايجوز استفتاء الا من يفتي بعلم او عدل

---

[1] هو من اهم كتب الفروع عند الحنابلة ولا يستغني عنه مفت ولا قاض لسعته من الفروع مما لا يوجد في غيره جزى الله جامعه وواقفه خيراً

[2] تقدم هذا واعدناه تذكراً به لكثرة التساهل فيه

[3] يعني به شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله

ويلزم المفتي تكرير النظر عند تكرار الواقعة وان حدث ما لا قول فيه تكلم فيه حاكم ومجتهد ومفت

وينبغي للمفتي ان يشاور من عنده ممن يثق بعلمه الا ان يكون في ذلك افشاء سر السائل او تعريضه للاذى او مفسدة لبعض الحاضرين فيخفيه ازالة لذلك

ولا يلزم جواب ما لا يحتمله السائل لقول علي — كما في البخاري — حدثوا الناس بما يعرفون اتريدون ان يكذب الله ورسوله وفي مقدمة مسلم عن ابن مسعود : ما انت بمحدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم الا كان فتنة لبعضهم

ولا يلزم جواب ما لا نفع فيه لخبر احمد عن ابن عباس انه قال عن الصحابة : ما كانوا يسألون الا عما ينفعهم

وللمفتي قبول هدية لكن لا ليفتيه بما يريده مما لا يفتي به غيره والا حرم قبولها

وللمفتي رد الفتيا ان خاف غائلتها او كان في البلد من يقوم مقامه في الفتيا والا لم يجز له ردها لتعينها عليه (والتعليم كذلك)

ومن قوي عنده مذهب غير امامه لظهور الدليل معه افتى به واعلم السائل

ويجوز للمفتي العدول عن جواب السؤال عنه الى ما هو انفع للسائل

وللمفتي ان يدله على عوض ما منعه عنه وان ينبهه على ما يجب الاحتراز عنه لان ذلك من قبيل الهداية لدفع الضار

واذا كان الحكم مستغربا وطأ قبله ما هو كالمقدمة له

وله الحلف على ثبوت الحكم احيانا لآية « قل اي وربي انه لحق » وآية « فورب السماء والارض انه لحق مثل ما انكم تنطقون » والسنة بذلك كثيرة

وله ان يكتب كذلك مع جواب من تقدمه بالفتيا اذا علم صواب جوابه فيقول : جوابي كذلك والجواب صحيح وبه اقول :

واذا سئل المفتي عن شرط واقف لم يفت بالزام العمل به حتى يعلم هل الشرط معمول به في الشرع او من الشروط التي لا تحل مثل ان يشترط ان يصلي الصلوات في التربة المدفون بها الواقف ويدع المسجد او يشعل بها قنديلا او سراجا لان ذلك محرم كما تقدم (لصاحب الاقناع) في الجنائز[1]

---

(١) في كتاب تيسير الوقوف على غوامض احكام الوقوف للامام المناوي في الفصل الثالث في الحادثات والواقعات من الكتاب الثاني قال (حادثة) بالشام في القرن السابع

ولا يجوز [illegible] في الفتيا في اسم مشترك [illegible] التفصيل في الجواب ، فلو سئل المفتي هل له الاكل في رمضان بعد طلوع الفجر فلابد ان يقول يجوز بعد الفجر الاول لا الثاني . وارسل [illegible] ابو حنيفة الى ابي يوسف يسأله عمن دفع ثوبا الى قصار فقصره وجحده ، هل له اجرة ان عاد وسلمه الى ربه ، وقال ابو حنيفة ان قال ابو يوسف نعم او لا فقد اخطأ فجاء ابو يوسف فقال ان قصره قبل جحوده فله الاجرة لانه قصره لربه وان قصره بعد جحوده فلا اجرة له لانه قصره لنفسه [illegible] . وسأل ابو الطيب الطبري قوما من اصحابه عن بيع رطل [illegible] برطل هل يجوز فقالوا لا فخطأهم فقال ان تساويا كيلا جاز [illegible] فهذا يوضح خطأ المفتي في كل ما يحتمل التفصيل

ولا يجوز للمفتي ولا الحاكم تتبع الحيل المحرمة والمكروهة ولا تتبع الرخص لمن اراد نفعه فان تتبع ذلك فسق وحرم استفتاؤه . وان [illegible] قصد المفتي في حيلة جائزة لا شبهة فيها ولا مفسدة لتخليص المستفتي بها من حرج جاز

وللمفتي العمل [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

ويحتاج المفتي الى [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] ابن تيمية [illegible] وشرطه في الوقف ان يكون [illegible] الامر الذي [illegible] العبادة [illegible] [illegible] مكروهة [illegible] [illegible] مكروها [illegible] [illegible] ولا [illegible] شرطه الواقف [illegible] [illegible] الامام ابن القيم في اعلام الموقعين في شروط الواقفين [illegible] [illegible] الشروط [illegible] اربعة اقسام شروط محرمة في الشرع وشروط مكروهة لله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم وشروط تتضمن ترك ما هو احب الى الله تعالى ورسوله وشروط تتضمن فعل ما هو احب الى الله تعالى ورسوله ، فالاقسام الثلاثة الاول لا حرمة لها ولا اعتبار والقسم الرابع هو الشرط المتبع الواجب الاعتبار وبالله التوفيق [illegible] [illegible] النبي صلى الله عليه وسلم [illegible] الشروط [illegible] [illegible] من [illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يجز لاحد [illegible] ولا [illegible] [illegible] هذه [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الآخرة [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] هذا التفصيل [illegible] الى [illegible] في الجزء الثالث من اعلام الموقعين

فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق باذنك انك تهدي من تشاء الى صراط مستقيم »

هذا ما يسر المولى بفضله جمعه من عدة مصنفات ، كما ظهر في العزو اليها في الاصل والتعليقات ، والمقام جدير بالعناية لذوي الدراية ، والله ولي الهداية ،

دمشق : جمال الدين القاسمي

اوغست كونت وفلسفته (١)

« تمهيد »

نبغ في فرنسا بعد نقض الاوضاع القديمة كثيرون من المفكرين الذين بحثوا في نظريات الاجتماع وفي طليعة هؤلاء النابغين الفيلسوف اغست كونت . وقد اختلف الباحثون في مذهبه الذي هو مركز الثقل في فلسفته فربطه قوم بين دمتر وفوريه وقالوا بوحدة آرائهم مع اعترافهم لكونت برجاحة العقل وتوفر المكتسبات الفنية وجعله آخرون بين هيوم ولايبنتز [illegible] فأخطأ الفريقان مركزه بعد الاولين ما رأوه بين الطرق التي انتهجها الفلاسفة الثلاثة الى مقاصدهم من التشابه فشغلهم ذلك عن النظر في ضعف الرابطة بين مرامي كونت الباحث في تحديد شروط الاتحاد الاجتماعي ومرامي دمتر وفوريه بالفرد كونت تمكن سواه بمبدأه المشهور ان النظام الاجتماعي لا يمكن تغييره الا اذا جعلت التصورات النظرية في الهيئات الاجتماعية خاضعة لتأثير الفن وادمجت في ما سواها من المستنبطات البشرية وهذه الخاصة تفسح لكونت مجالاً بين فلاسفة الاجتماع الناشئين في القرن الثامن عشر وتربطه بتورغوي ومونتسكيو وقوندورسه الذي كان كونت يدعوه بابيه الفلسفي وهو تصريح يكفي لاثبات ما نقول

يصعب علينا ان نلخص في هذه الصفحات فلسفة كونت المودعة في ستة مجلدات ضخمة ولاسيما ان كتاب الغرب الذين تناولوا الكلام في موضوع كستوارت ميل وغيره ممن درسوا فلسفة كونت عن كثب واقروا في انتقادها لم يوضحوا مذهبه ايضاحاً

---

(١) معربة عن التركية

يزيل اليأس والابهام ويوقف العالم على حقائقه . ولم يكن بين من كتبوا في هذا البحث من اوضح لنا كيف اقتبس كونت فلسفته من الرياضيات وما الذي دعاه الى تقسيم المعلومات البشرية الى ستة فروع كبرى وكيف بدأت فلسفته بفكر رياضي وانتهت بفكر اجتماعي .

ولا يتسنى لنا ان نفهم حقيقة هذا الفيلسوف الا اذا درسنا ترجمته [illegible] دانوا بها وصاروا الى مذهبه الفلسفي

ترجمته

هو ايزيدور اوغست ماري فرنسوا كزافيه كونت (Conte) ولد في قصبة مونبلييه سنة ١٧٩٨ وكان والده يجبي الخراج في القصبة المذكورة وبعد ان اتم التحصيل الابتدائي في مدرستها دخل دار الفنون في باريس فامتاز فيها بمعارضته القوة الرسمية الحاكمة واحترامه الشديد لكل حق وفكرته الثابتة الراسخة في نوعي عقيدته ولم يطل مكثه فيها سوى سنتين رأس بعدهما الاحتجاج على احد اساتذتها آل الى اخراجه من المدرسة فعاد الى موطنه حتى كانت سنة ١٨١٦ فأم باريس غير مكترث باعتراض والديه الشديد واقام فيها يحصل قوته بالقاء دروس خاصة في الرياضيات وجعل همه تحدي بنيامين فرنكلين الذي كان يدعوه سقراط زمانه في معيشته على انه امتاز عن جميع الفلاسفة بصلابة العزم والثبات على مبدأه فزخرت عنه حياة تبكي كآبة وشقاء

وضاق به العيش في باريس فحدثته النفس بالهجرة الى اميركا وكان على وشك ان يغادرها لولا صديق ثنى عزمه عن المهاجرة بجملة اوردها في عرض حديث تجاذبا اطرافه عن « فكر عملي » في العالم الجديد فقال له صديقه ان لاكرانج (رياضي فرنساوي شهير) لو ذهب الى اميركا لم يجد عملاً يقوم بأوده سوى مسح الارضين . فعدل كونت عن السفر واقام في باريس يعالج الحياة المرة ويتبلغ بثمانين ليرة يتقاضاها راتباً سنوياً من احدى المدارس التي انتدبته لتعليم الرياضيات حتى سعى له اصدقاؤه بوظيفة تدريس في دار المسيو كار يديره الشهير فدخلها ووجد هناك اسباب الراحة والهناء غير ان المعيشة لم ترقه لحنينه الى الحرية التي اضاعها فلم يستقر به المقام اكثر من ثلاثة اسابيع ودع بعدها مضيفيه وعاد الى حاجته السابقة وقناعته الفطرية وقد يكون التطرف في الشبيبة داعية الشر الا اذا كان الشاب الفقير متعلماً فتساعده الحاجة حينئذ

على ان يكون الميل الى الحقيقة بعد الى الخيال

وسنة ١٨١٨ اتصل كونت بهنري دوسان سيمون ابن اخت الدوق دي سان سيمون المشهور وكان في عهده من كبار كتاب المذكرات السياسية فكان لهذا الاتصال تأثير شديد في نظريات كونت الفلسفية

كان سان سيمون يوم لزمه كونت في الستين من عمره ولم يكن ذا شهرة طائرة غير ان غرابة خياله واحواله الاجتماعية وافكاره السياسية تستوقف الانظار فقد قضى الرجل عمره ساعياً بما له من الملكة العقلية الرائعة لتطبيق خيالاته على حقائق الاشياء والتربية الفنية لم يكن طائق الرأي هذا الرجل لانه لم ينشأ عليها ولا شعر بلزومها بل انه كان حرياً بالاتحاد الاجتماعي ولا في السياسة الحديثة وترى في النشر كثير من الافكار الخطيرة ولكنه لم يبنها على محاكمة منطقية بل هي اشبه بخيالات الشعراء

هذا الفيلسوف الشيخ سحر كونت فلم يستطع ان يفكر في حقيقته الا بعد ان فارقه حتى انه كتب بالحرف سيف حديث له بعد ان انقطعت اواصر ودهما ولم يستطع الا ان يعترف بنفوذه عليه وباثره في تربيته الفلسفية واشتدت وطأة التأثير على كونت حتى لاح لها وهماً نفسه يوم صادقه سيمون بحلم هذا التبرع عنه .

ونعرف ما كان الفيلسوف الشيخ من الوعد عند كونت من كتاب بعث به الاخير الى صديق له يقول فيه ان سيمون اراني الخطة الفلسفية التي اسلكها الآن وطرد السير فيها كل عمري غير ملتفت الى ورائي وهذا الاعتراف الصريح لا يحط من قدر كونت ولا ينافض ارجحيته العقلية وقوته بموجبات تُجل صديقه الشيخ ولا ينقص من قدره انه اخذ كثيراً من افكاره التي اقام عليها بناءه الفلسفي من افكار سيمون المضطربة وخلاصة القول انه لا يصح ان نعد كونت تلميذاً لسان سيمون ولا مقلداً له وكل ما في الامر ان الشيخ اوقف صديقه الشاب على حقيقتين مهمتين كان لهما الشأن الاكبر في فلسفة الاخير اولاهما ان الحوادث السياسية هي كالحوادث الطبيعية يمكن جمعها وربطها بقوانين مقررة وثانيتهما ان غرض الفلسفة الاصلي البحث في المسائل الاجتماعية فتناول كونت هذا المبدأ وتوسع في بسطه وشرحه توسعاً لم يخطر للشيخ في بال

دامت صحبة الرجلين ست سنوات ثم بدأت بالانحلال لما اوقر كونت من سلطة سيمون الادبية وما دخل في نفس الشيخ من الغيرة والحسد لما رأى ميل الشاب اليه وادراكه ومواهبه وحدثت ثمت حادثة قطعت العلائق التي ربطت ودهما وملخصها ان سان سيمون

نشر كتاباً في الاجتماع نقل فيه معظم افكار كونت لنفسه فغضب الاخير وعاتب صديقه عتاباً مرّاً ولم يكن سبيل التوفيق بين الرجلين فكان فراقهما ابدياً

وتزوج كونت سنة ١٨٢٥ فزاد ذلك في اسباب تعاسته وشقائه لان اسرته وهي شديدة التعصب للملكية والكاثوليكية [illegible] زواجه المدني [illegible] بحضورهم الا ان ذلك لم يمنعها من الاحتفاء بزوجته وشخص العروس [illegible] دون [illegible] سئمت الزوجة فيما بعد الحياة الحرية ذات الحق الواحد وبدأ نزاع انتهى بفراق الزوجين كما سيجيء ولما كتب كونت الى صديق خلص في السنة الاولى بعد زواجه يقول ان الامراض العرضية والهواجس التي استولت علي اضطرتني ان [illegible] من سعادتي [illegible] اذا لم يكن اعظم احزانها [illegible]

ومن الافكار السامية في هذه البيئة الرديئة [illegible] النفوس مواضع الدهشة والاعجاب ويحملها الى احترام الفيلسوف الذي كان يقوم على تشتيتها والخطوب المتوالية تفسد نظام حياته وكان الفضل عليه في كل [illegible] الحق [illegible] ايجاد تلامذة يتلقون افكاره وآراءه ولم يشذ سوى شخص اضجرته الوحدة فودع التلمذة غير آسف

وفي هذه الاثناء اختمرت افكار الفيلسوف وتكاملت وشرع بنشر مقالات في جريدة المنتج (او برودكتور) كان يتقاضى عليها بعض المرتبات ولما يئس من بث افكاره بواسطة تلاميذه عمد الى القاء محاضرات واراد ان يلقي المحاضرة الاولى سنة ١٨٢٦ راجياً ان يصيب بذلك شهرة وان يعود بنفع مادي يستعين به على حاجته وفقره ونصحه احد اصدقائه على ذلك بقوله ان كثيرين يبحثون في آرائك وافكارك عن ذكرها بشيء [illegible] التي صاحبها فعمل بنصيحته وتمت المحاضرة الاولى رجال من حملة علماء فرنسا ونخبة ادبائها

ولما كاد طالع السعادة يبسم لكونت وتحدث الناس باسمه وفضله حتى دهمته الكوارث التي [illegible] عقيب المحاضرة الثالثة لأن ثورة الفكر التي اشتدت بتأثير اشتغاله العقلي [illegible] بمرض عضال [illegible] من مرضه فكر [illegible] حاله والعصبية الشديدة [illegible] يئس من الحياة [illegible] الى الانتحار غرقاً في نهر السين ثم عدل عن الانتحار وبدأ يسترجع قواه العقلية والجسدية

وفي هذا الدور التعس عاد كونت [illegible] في انشاء [illegible] من [illegible] بيته وكان المرض قد اثر فيه تأثيراً شديداً ظهرت عليه علامات الجنون فقام الفلاسفة

من معارضي كونت يعيبون طريقته ويتخذون هذه الحادثة حجة على سخف رأيه وفساد تعليمه ويقولون ليس من العقل في شيء ان يتبع الانسان مذهب مجنون وهذا تحامل مجرد يقصد منه تضييع تأثيره فقد أصيب نيوتن قبله بمرض دماغي لم ينقص ذلك شيئاً من حرمته والاعجاب بكتابه المسمى (برنسيبيا) الذي وضعه عقيب ذلك المرض

وبعد ان استعاد كونت قواه عاد سنة ١٨٢٨ الى القاء المحاضرات ونشر المجلد الاول في دروس الفلسفة الوضعية سنة ١٨٣٠ بعد تعب كبير وعمل طويل بدأ سنة ١٨٢٦ ولم يكن الباقي في المجلدات الخمسة التي تلته اقل عناء فانه لم يتمكن من نشر المجلد السادس الا سنة ١٨٤٢

كانت الاثنتا عشرة سنة التي انصرفها الفيلسوف في التأليف سني خير وبركة عليه ذاق فيها السعادة المادية لانه دعي في سنة ١٨٣٨ الى امتحان الطلبة الذين يتوافدون من كل صوب الى كلية باريس والهندسة مدرستان كبيرتان لتعليم الرياضيات فاصبح دخله السنوي اربعمائة ليرة ولما كان عهد لويس فيليب دعاه المسيو كيزو رئيس الوزارة ليدرس تاريخ العلوم وقال له « اذا كان هنالك اربع كراسي لتدريس تاريخ الفلسفة وجب علينا ان نخصص كرسياً على الاقل لظهور العلوم المثبتة وارتقائها » فدل الوزير بذلك على حبه للفلسفة الحسية ولولا التحاقه بما فوق الطبيعة ايضاً لتقدمت في عهده التقدم باهراً

وفي كتاب ارسله كونت الى زوجته ما يدل على رقة قلبه وسمو عواطفه فقد قال لها في ذلك الكتاب « لا اود ان اصف لك هنا الشعور الذي غمر نفسي وانا ارى الشاب فلان في امتحانه وقرب من نيله الذهبية انت تضحكين من ذلك ولكني لا اتمالك من ان اذرف دموعي »

وكان كونت يفكر دائماً في سعادة الآخرين ويسعى الى منفعتهم بكل سبيل وهذا الاعتناء الدائم حمله على القاء الخطب والتدريس في المجتمعات العامة من سنة ١٨٣١ — ١٨٤٨ على ما كان يعترضه من الموانع وفي هذه السنة حدثت ثورة في باريس اظهر فيها كونت محبته للمجتمع فقد كان يفضل السجن على الدخول في الفرق الوطنية التي ألفت يومئذ ومع انه لم يدع الناس لحمل السلاح على الملكية فانه لم يتهم قط بعدم الاخلاص

ولم يكن كونت يتأثر من مشاهدة الروايات مع انه كان كثيراً ما يحضر الملاعب والتمثيلات (تراجيدي) في الفرص فيراها مصنعة ليس فيها من الحقيقة الا ظل لطيف

قبل اكتراثه بها وباسلوبها القصص المضحكة (كوميدي)

وقد كتب احد تلامذته عن احواله وصفاته الشخصية ما يأتي

دقت ساعة لوكسمبورج الثامنة وكان صدى صوتها لا يزال يرن في الآذان حين انفتح باب الغرفة ودخل رجل قصير القامة مائل الجسم نحو [illegible] مع انه من في قصر [illegible] حتى لم يبق [illegible] وكانت تكتسي الاثواب السوداء ويظهر في لبسه فكانما رأيته خاله مدعوّاً الى وليمة وكانت عقدة رقبته لامعة كأن المكواة مرت عليها حديثاً فاقترب الرجل من الكرسي المعدة له وراء المنصة ووضع علبة السعوط امامه وبعد ان استمد [illegible] الصحيفة التي امامه شرع بكتابة الدرس مؤرخاً فيه بقوله [illegible]

ودام درسه ثلاث ساعات والطلبة يدونون الموضوعات المهمة في مذكراتهم ليتمكنوا من مراجعتها كل حدة ثم سحب من جيبه دفتراً آخر فعاد الى الدرس السابق وظل حتى الساعة الحادية عشرة فقال كلمته [illegible] من السعوط وكانت يده في جيب عطفه وفتح الباب وخرج بسكينة تامة

فلما اكمل انه نشر المجلد الاخير من الفلسفة الوضعية سنة ١٨٤٢ [illegible] المرء [illegible] عن المكافأة التي يجب ان تعطى لهذا الفيلسوف على اثني عشرة سنة صرفها في الجد واتعاب العقل يجد ان جزاءه كان تزايد المشكلات والخطوب في [illegible] الصدر [illegible] حتى تفكر في تلك السنة [illegible] بينه وبين زوجته فأدى الامر الى انفصالهما بعد ان [illegible] من البيت [illegible] هذه المدة لان احوال الزوجين [illegible] عليها حتى [illegible] احدهما [illegible] كومت بعد الانفصال تفكر في سعادة زوجها ودامت المراسلات [illegible] مدة سنين

واصيب كومت بمعاداة [illegible] اثرت فيه [illegible] خاتمة المجلد السادس حتى آخر الكتاب [illegible] يشكو فيها [illegible] كومت الشديدة على [illegible] فغضب الفيلسوف [illegible] وخاصمه مخاصمة [illegible] دعواه

واشد المصائب التي نكب بها هو انه [illegible] الاشراف على الامتحانات في المعهد [illegible] فافضى ذلك الى الاحتياج [illegible] راتبه [illegible] كومت العيش ذرعاً [illegible] فقره صديقه [illegible] الانكليزيين الذين اثرت فيهم افكار الفيلسوف واستمدوا منها معظم افكاره وآرائه في

اصول المنطق وقد كثرت مراسلات الصديقين ونشر جزء منها في المدة الاخيرة فهاج رغبة الجمهور للاطلاع على سائرها

ولما انتهت اليه كتب الفيلسوف واحت فيه الحاجة التي عرف بها من عطفه الشديد على الرجال العظماء ورثائه لشقائهم فنهض الى مساعدته وطرق ابواب ثلاثة من اصدقائه من اعاظمهم لمساعدة الفيلسوف فتعهدوا بتقديم مائتي ليرة له سنوياً وكان ذلك سنة ١٨٤٥

ولم يوفق كونت لعمل شيء يدل على شعوره بجميل الانكليز فلما عاد الميعاد في السنة الثانية اعطاه الاول مبلغاً زهيداً ورفض الاثنان الآخران مساعدته قائلين يجب على كونت ان يعول نفسه بنفسه فلما أخفق ستيوارت في مساعدة صديقه بهذه الوسيلة اشار عليه بكتابة مقالات في الصحف الانكليزية وتعهد له بترجمتها فرضي كونت اولاً بهذا الطلب ثم عاد الى هوسه واستكباره وأخذ يتهم الانكليز بفساد الاخلاق مما اغاظ ستيوارت وباعد ما بين الصديقين حتى انتهى الامر بانقطاع المراسلات ومن كلام كونت في هذا الصدد قوله: لماذا يترك الرجل بعد موته مبلغاً من المال لنفع من لم يعرفهم ولا يعد مساعدة الرجال الذين عرفهم في حياته فرضاً طبيعياً ؟ ان الانكليزيين صرحا لي بعد ان فيلسوفاً لا يقولان بقوله والرجل يجب ان لا يقبل في نشر مبدأه الا مساعدة الذين يرثون رأيه وقبوله معونة من سواهم حطة من قدره

وما زال كونت يدفع لامرأته مائتي ليرة سنوياً من ١٨٤٥ الى سنة ١٨٤٨ اذ هبطت رواتبه بدون سبب الى ثمانين ليرة فقام المسيو ليتره وبعض الاصدقاء اكتتاباً لمساعدته تجمع من المال ما وسع على كونت ردحاً من الزمن وقد كان في جملة المشتركين بهذه الاعانة المثلى ستيوارت مل الذي لم يمنعه استياؤه من معاملة كونت عن مساعدته واسعافه

ويرى المطالع ان كونت لم يتصرف مع اصدقائه تصرفاً يليق برجل عظيم مثله لان نفسه جمعت الى خصالها الحميدة من رسوخ العزم وقوة الارادة والثبات والمثابرة على خدمة البشر نقائص مشينة من الغرور والعجرفة واذا جاز التمثيل شبهنا كونت ببروتوس وكاتو

واذا اراد الانسان ان يحب كونت وجب عليه ان يتصور حالته التعيسة وحياته الشقية وخطوبه المتواترة وهو بين هذه الظلمات دائب على انجاز مهمته لا يكل ولا يني ولا يزال يركب الى غايته الخطوب حتى فاز بما اراد وكانت القوانين

الاساسية لعلوم الموجبة في عهده معالجة صحيحة فان كونت وضحها بما يزيل الاشكال ويقيم لها حدوداً بينة لافكار الفلسفة حساده ومزاحميه.

ولم يكن كونت يكتب كلمة في باب من ابواب الموضوع ويكتبه حتى يفكر فيه ويتمثله في ذهنه ومتى فرغ من احضارها حتى يكتب بدافع سيال أشبه بسلسلة من الافكار تجري في املائه بدون انقطاع ولا تردد قوة ذاكرة كونت وشدة انتباهه عن العود الى المذكرات ولكن اسلوبه الكتابي لم يكن بالغاً الدقة لانصرافه الى المواد واذا كنا لا نتوقع منه كتابة كالشعر في تأثيرها وسلاستها الا ان الكتابة في ارقى الموضوعات العلمية اذا لم تكن طلية يحبها اكثر القراء، خلافاً في الاستقصاء واذا قارنا اسلوب كونت بغيره من فلاسفة كهيوم وديدرو وباركلي رأيناه ثقيلاً جافاً وربما وقعت في كتاباته بعض العبارات الشاذة الا ان جميع اصطلاحاته خالية من سلامة الذوق في الانتخاب وقد كان يكثر من ادوات الحال في مثل الجمل حتى لا يثبت في مطالعتها الا من أوتي الصبر الطويل من تلامذته ولكن قوة فكره ونفوذ نظره وسمو آرائه تشرع له السبيل الى ذهن القاري وتستر هذه النقيصة وتضعف تأثيرها واذا كانت ولادته عقلية فاسلوبه لا يؤلف جزءاً من تلك العظمة الشائقة بانية الافكار والمثلة ونظامه الفني الذي اوجدها. وركاكة اسلوبه ناشئة عن عدم مطالعته مؤلفات غيره الكتاب فهو لم يقرأ الا قليلاً كان يسعى على حفظ الصحة الدماغية وقبل ان يتم فلسفته الموجبة لم يطالع سوى دواوين اثنين او ثلاثة من الشعراء في مقدمتهم دانتي واهمل ما سوى ذلك حتى قراءة الرسائل والمجلات ولكن اصدقاءه كانوا ينبئونه بكل حادثة جديدة في العالم فادى هذا الانقطاع الى تحرير نفسه من قيود الاجتماع والمؤثرات وعلت افكاره بمعزل عن الاعتبارات الخارجية واذا كان ذلك من هذه الوجهة فقد اضره من الوجهة الاخرى لافراط في انفه وضعف شعوره بالعالم الخارجي وقد وضحت فيه هاتان النقيصتان في اواخر ايامه.

وقبل ان نتم ترجمة كونت نذكر حادثة جرت له سنة ١٨٤٥ يوم تعرف الى مادام دي فو:

كانت هذه العقيلة ايماً لأن زوجها حكم عليه بالسجن المؤبد ولا نعرف الا اليسير من اوصافها الرائعة وخلالها وكل ما نعلمه هو انها وضعت قصة رفعتها في عيني كونت الى مستوى مادام جورج صاند ولم تكن هذه القصة في ذاتها شيئاً يستحق الذكر لا انه

دلت على ذوق سليم وفطرة حميدة فتوثقت بينهما روابط الولاء واصبحت الفتية عزاءه في احزانه وافاضت على نفسه روح الهدوء والسكينة ولو طالت مودتهما لم يظهر اضطراب الفكر في كتب كونت الاخيرة الا ان الاقدار التي ناصبت الفيلسوف طول حياته فجعته بحبيبة نفسه وموضوع سلوته سنة ١٨٤٦ فجزع لفقدها جزعاً شديداً ولازمه الحزن وقد كان يخرج الى قبرها مرة كل اربعاء اذا توارت الشمس في الحجاب يبلله بقطرات دموعه ويجثو في النهار ثلاث مرات احتراماً لذكرها ويستغرق في احزانه ويستسلم الى الجزع وكان تلامذته يقولون انه يقدم لها من الاحترام ما قدمه دانتي لحبيبته بياتريس ويشبهون حاله بحال دالامبر بعد وفاة لينياس

الباحثون في حياة كونت يقسمونها الى شطرين احدهما يمتد حتى تعرفه الى العقيلة دي فو والآخر بعد ذلك ويفرقون بين الشخصين كونت الذي كتب الفلسفة الوضعية وكونت الذي الف في السياسة الوضعية الا ان اعداءه يأبون كل تفريق في هذا الصدد ويقولون ان العقل الذي كتب في السياسة هو نفسه الذي كتب في الفلسفة

ولم يكد كونت ينتهي من نشر الفلسفة الوضعية حتى بدأ بنشر سياسته وهذه بالطبع تمتد الى ذلك فنشر المجلد الرابع والاخير في سنة ١٨٤٨ وفي هذه السنة حدثت ثورة في فرنسا لم تتمد للانفجار حتى هرع كونت الى تأليف جمعية دعاها الوضعية توقع ان يكون لها من الشأن في هذه الثورة ما كان لنادي الجاكوبيين في ثورة ١٧٨٩ واذا كان كونت لم يدرك جميع آماله في انشاء هذه الجمعية فقد ادرك بعضها باجتماع تلامذة الفيلسوف ووضعهم مذهباً فلسفياً جديداً كما يهوى ويختار

وكان كونت سنة ٤٩ و ٥٠ و ٥١ يلقي في القصر الملكي (باله رويال) في باريس محاضرات متتالية يحضرها عامة الناس وخاصتهم فيبحث في فلسفته ومعتقداته ودعاويه وقد ختم محاضرته الاخيرة بقوله :

« باسم البشرية والفلسفة والحقيقة يجب ان تتولوا زعامة العالم لأن ذلك حقكم الصريح واقصى اماني الانسانية تأليف حكومة اخلاقية مادية فكرية بان الحكومات التي قامت على دعامات الملكية والبروتستانتية سقطت لان الناس اتخذوها وسيلة لاضرام الثورات وقضاء الطلبات »

ومن غرائب الاتفاق ان يقوم بعد هذه المحاضرة ببضعة اسابيع رجل يدعو الناس الى طاعته لا باسم الانسانية بل لدعواه انه صاحب الحق بالسلطة المطلقة وان يحمل

الناس الى معرفته كتلك بالقوة القاهرة

وسنة ١٨٥٢ نشر كونت رسالة في مذهب الانسانية ظهر فيها ارتياحه الى ضربة لويس نابوليون الحكومية واستبدال الجمهورية بالحكم المطلق ومهما يكن من قيمة الفكر السياسية مجد عقلاً كونت في هذه كتبه وهو لا يخطر ان تزول الحال التي آلت اليه من الضغط والاستبداد والحاد الطبيعيات

واصيب كونت سنة ١٨٥٧ بداء السرطان وقضى في الخامس عشر ايلول فانتهت حياة مرة الفكر الانساني وفي هذا اليوم من كل سنة يجتمع تلامذة الفيلسوف من انكلترا وفرنسا وبين [illegible] يعودون بذكره ويقومون بزيارة منزلها لانفسهم وقد قبض كونت وهو دون الستين وهو لا يبتغيها الا ان ينال انجح [illegible] في حياة عالية من اشد ما اصاب الامور ابلاغا وهي «ان يقتضي ارباب الحكم الحاضر [illegible] على نشر افكارهم قبل ان يدركوا اماليهم ونالة ذم رعاياهم»

« فلسفته »

لا تعرف الظاهرة الا قياسها وقياسها لا يحصل في غالب الاحيان بالواسطة لتعذرها لوقوعها من المصاعب في قياس طول بالوحدة المترية او يشترط في صحة القياس ان يطابق المتر على السطح كل الانطباق وادنى نتوء او غور يحول الاستواء يجعل هذا القياس متعذراً فاذا كانت المصاعب تعترينا في اقل البسائط فكيف بها في ارقى المركبات كتقدير الابعاد بين الاجرام السماوية

ذلك ما قاد الفكر البشري الى وضع العلوم الرياضية فاذا تعذر او استحال علينا ان نقيس مسافة او مقدار كمية مباشرة توصلنا الى ذلك بالطرق الرياضية فنضعها بين ما لا يقاس توا وبين ما يقاس ونفرضها الاولى من التابعة في قاعدة التناسب

فلكي نقيس مساحة حقل بشكل هندسي كمثلث مثلاً يكفي معرفة العلاقة بين الاضلاع والزوايا فتسهل علينا معرفة المساحة . بهذه الوسيلة وبمثلها من نوعها تمكن الفكر البشري من تقدير الابعاد بين الاجرام السماوية وتوصل الى معرفة حجومها واشكالها الحقيقية وظواهرها الطبيعية وسعتها وامتدادها وقوة جاذبيتها الى غير ذلك من المعلومات التي بلغها بالوسائل الرياضية وغرض الرياضيات مقايسة الكميات وتقديرها بالواسطة وذلك يدرك بمعرفة النسبة بينها فالرياضيات اذن علم تستخرج بواسطته الكميات المجهولة من الكميات المعلومة

للبيانات الصريحة الموجودة بها .

ما هي الكمية ؟

عرف الرياضيون الكمية انها ما يقبل الزيادة والنقصان ويمكن تقديره بالوحدة القياسية (١)

فالعدد والطول والسطح والحجم والزمان والمكان وسرعة الجسم ووزنه وغيرها من الاركان الداخلة في الحوادث الطبيعية هي كميات تتوفر صفتي الكمية فيها وقد اكتفى الرياضيون بالمعلومات النسبية ولم يخطر لهم ذلك ببال ان يبحثوا في ماهية المكان والزمان والمادة لانها الأسس التي تقوم عليها الطرق البشرية فليس في الوسع ان تثبت او تعرف ولهذا السبب حصر الرياضيون همهم في كشف النواميس التي تؤثر في هذه الكميات والعلاقات النسبية بين ما اجتمع منها في حادثة واحدة بدون ان يحاولوا بلوغ معلومات مطلقة

والرياضيات تثبت لنا ان في وسعنا استخراج بعض الكميات الداخلة في احدى الظواهر الطبيعية من البعض الآخر اذ لابد من وجود روابط بينها ولم يشهد الناس حتى اليوم ظاهرة فقدت فيها هذه الروابط ولكنها قد تدق حتى يتعذر على الباحث اكتشافها

اذا بدلنا كلمة « كميات » في تعريف الرياضيات بكلمة « حوادث » كان لنا تعريف العلم الحقيقي فهو ما وضح بعض الحوادث ببعضها الآخر مستنداً في ذلك على العلاقات الموجودة بينها . وكل علم يجمع طائفة من الحوادث ويؤلف بينها ويستخرج من جمعها نواميس عامة ويضع قواعد اذا جرت عليها عرفنا نتائج حادثة بقياسها على حادثة ثانية من نوعها فاذا عجز عن ذلك لم تصح تسميته علماً

ثم اننا اذا وضعنا كلمة « النواميس الطبيعية » بدلاً من « العلاقات بين الحوادث » كان ذلك اصح وقد خدمت الرياضيات في تعيين هذه العلاقات فوق خدمة كل ما سواها من العلوم فهي تدل على اقصى ما يراد بالعلم واذا شئنا ان نصل الى فكر صحيح في تحديده وجب علينا الرجوع الى الرياضيات لان الاصول العامة التي ينبغي ان يسري عليها الفكر في

---

(١) زاد المتأخرون الشرط الثاني من شروط الكمية اما المتقدمون فقد اكتفوا بالشرط الاول فكانت صلابة الجسم في عرفهم كمية لانها تقبل الزيادة والنقصان الا انها ليست كذلك عند المتأخرين مع ان الاجسام تختلف في الصلابة الا ان هذه الصلابة لا تقاس بالوحدات

الابحاث الاجتماعية في عالم الرياضيات وليس من امر آخر [illegible] بقصد الى امتزاج النتائج بدقة وضبط هذه هي النقطة التي ابتدأ منها مذهب الوضعيين لواضعه اوغست كونت

استنبط الفيلسوف الفرنسوي [illegible] العلم من الرياضيات واقتبس منها الاصول التي يجب ان تجرى عليها الابحاث العلمية [illegible] فلسفته هو ان الحوادث[1] كافة تجري على قوانين مقررة والعقل البشري عاجز عن معرفة منشأ الحوادث الاولي ومنتهاها الابدي وهذه حقيقة لا ينكرها من كان ذا مسكة [illegible] الطبيعية لان الغاية من ايضاح الحادثة الطبيعية ليس الا اظهار الاحوال والشروط التي يمكن معها حدوث مثلها وتعيين علاقتها بغيرها من الحوادث [illegible] مثلاً [illegible]

اكتشف نيوتن الجاذبية العامة فاوضح بها جميع الحوادث الفلكية وبين ان كثيراً من الحوادث التي كان الناس يتوهمون ان لا علاقة بينها كالخسوف والكسوف والمد والجزر انما هي مظاهر مختلفة لحادثة واحدة عامة كما هو [illegible] الثقل فبها نفسر جميع الحوادث الفلكية بالجاذبية العمومية ولكننا نعجز عن معرفة ماهية الجاذبية ونفسها الاصلية واذا سئلنا في ذلك لم يكن عندنا جواب وليس هذا كل ما [illegible] الامر [illegible] الفلسفة الوضعية ثبت لنا ايضاً انا لن نستطيع ادراك ذلك [illegible] عن هذه المباحث [illegible] الطبيعة [illegible] قال ان اهتزازات الجواهر الفردية سبب [illegible] الثقل لا يكون قد اوضح مبهماً لان الاشكال ينتقل من الثقل الى الاهتزازات فلا يلبث [illegible] ان يسألوا عن سبب الاهتزاز ايضاً

اذا اردنا ان نفهم الصفة المميزة لفلسفة [illegible] يجب علينا ان نتتبع الفكر البشري في ادوار ارتقائه وقد وضع كونت لذلك قانوناً عاماً اقتبسه [illegible] معلومات العصر الحاضر وشهادات العصر الماضي

وهذا القانون هو ان كل فرع من المعارف يمر في ثلاثة ادوار متتالية او حالات مختلفة اولها «الدور الوهمي» والثاني «الدور المجرد» والثالث «الدور الثابت»[2]

État fictif État abstrait État positif.

---

[1] المقصود بالحوادث هنا الحوادث الطبيعية فضلاً عن الحوادث الاجتماعية

[2] ويدعوها ايضاً État théologique, métaphysique, scientifique

ونكتفي بذكر هذا القانون بدون ان نتقدم الى اثباته او معرفة نتائجه.

شبّه كونت الفكر البشري بعصوره ونواميس الارتقاء وحالاته الثلاثة التي تتعاقب عليه بالانسان في ادواره الثلاثة من طفولة وشبيبة وهرم

ونشأت ثلاثة مذاهب مختلفة لايضاح الحوادث في الادوار الثلاثة اولها « الفلسفة الوضعية » والثاني « الفلسفة المجردة » والثالث « الفلسفة الموجبة » والاول مبدأ ارتقاء الفكر الانساني والثالث غاية ما يبلغه والثاني الحلقة المتوسطة بين الاثنين

اتجه فكر الانسان في الفلسفة الوضعية يبحث في اسباب الحوادث الازلية وغاياتها الابدية فعزى تلك الحوادث آثاراً من عوامل ذات ارادة مطلقة يعزو اليها كل ما شاهده بدون ان يفكر في النواميس والسنن

وارتقت هذه الفلسفة فولدت الفلسفة المجردة التي اقامت « القوى المجردة » مقام العوامل الوهمية وهذه الفرقة نازعة من الميول نسب الحوادث المشهورة

اما الفلسفة المثبتة فقد اتفق واضعوها ان الفكر الانساني يستحيل عليه ان يدرك معلومات مطلقة فصرفوا النظر عن البحث في منشأ الكائنات ومصيرها وقصروا همهم على معرفة نواميس الحوادث فرسموا من المشاهدات والمحاكات العقلية لاكتشاف هاتيك النواميس

لما ارتقت الفلسفة الموضوعية حتى قال الناس باله واحد يدبر الكون بلغت اوج الكمال ونهاية الارتقاء وادركت الفلسفة المجردة نهاية شوطها عندما ردت الحوادث الى الطبيعة ودعتها بالقوة العامة المجردة:

اما الفلسفة المثبتة فهي تسعى لتوضح ان جميع المحسوسات ظواهر مختلفة لحادثة عامة فمتى تيسر لها ذلك بلغت ارقى درجاتها على ان هذا الارتقاء غير متيسر في الاحوال الحاضرة ولاتدل الظواهر الدالة على امكان ذلك في المستقبل فاذا استطعنا ان نفسر حوادث النور والحرارة والصوت والكهربائية وشيئاً من حوادث المغناطيسية بقولنا انها نتيجة تموجات فاننا لا نستطيع ان نفسر الحادثات الفلكية على هذا الوجه والفلسفة المثبتة جاهدة في اظهار العلائق بين الحوادث او التوفيق بين الطبيعة وصفتها المميزة صرف الفكر البشري عن البحث في ماهية الحوادث لأنها لا تخوض في هذا البحث بل تدعه الى الفلسفة المجردة التي توضح الأزل والأبد بسهولة تامة وتستشف الاسرار العلوية حتى ادق حقايقها

يتساءل القارئ بعد ان عرف غاية الفلسفة الوضعية عن الحد الذي بلغته وعلى اي شيء يتوقف اكمالها ونحن متطرقون في بحثنا الى ذلك

لم تمر المعلومات البشرية في الادوار الثلاثة بسرعة واحدة ولا ادركت الطور الثالث في آن واحد بل كان اسرعها الى ذلك الحوادث الفلكية لبساطتها وسهولتها وتلتها الحوادث الطبيعية فالكيماوية فالعضوية

ويتعذر علينا تعيين بدء انتقالها الى التدقيق ولكننا نعلم انها احدثت بالارتقاء منذ انشئت دور العلوم في اثينا والاسكندرية ومنذ حمل العرب العلوم الطبيعية الى غربي اوربا وارشدوا اهلها الى نواميسها وما زالت تتكامل وتتدرج في مراتب الارتقاء حتى نبغ باكون وديكارت وكبلر وغاليله واثرت مباحثهم في الافكار البشرية تأثيراً شديداً ووضعت أسس الفلسفة الوضعية التي بدأت بالانتشار والشيوع منذ ثلاثة عصور ولكنها لم تحط بكل انواع الحوادث لان هناك نوعاً لم نذكره وهو الحوادث الاجتماعية

هذه الحوادث لا تزال مجهولة النواميس كثيرة الابهام لم يكشف عن اسرارها المغطاة ولا استطاعت العلوم ان تحصرها تحت قوانين عامة وقد وضع الفكر البشري علم الميكانيكيات والحيوان والنبات وحان الزمان الذي يضع فيه علم الاجتماع فكان كونت اول من وجه افكاره نحو هذه الغاية فرمى اليها في موضوعات محاضراته الستة التي ودعت تخص المعلومات البشرية لان كونت ابان غرضه فيها تلقي الفلسفة الاجتماعية بل تعمد تدوين الفلسفة الوضعية فبحث في كل علم الى حد اظهار علاقته بغيره من العلوم واظهر تدرج كل منها في الارتقاء ودخوله في الدور الوضعي وجعل اساس بحثه تغالب الحوادث وارتباطها المنطقي فقسم العلوم الى ستة فروع كبرى تنضوي تحتها فنون مختلفة واليك هي :

(١) — الرياضيات (mathematiques)
(٢) — الهيأة (الفلك) (Astronomie)
(٣) الفلسفة الطبيعية — (Physique)
(٤) الكيمياء (Chimie)
(٥) الفلسفة العضوية (Physique organique)
(٦) الفلسفة الاجتماعية (Physique sociale)

وقدم كونت العلوم الرياضية بالذكر لأنها اقدم العلوم الموجودة واكملها وهي

[illegible] مكانها في الفلسفة الوضعية وقد راعى كونت في ترتيب هذه الفروع تاريخ [illegible] فعلم الرياضيات بدأت [illegible] وترقي من القدم [illegible] الى اليوم وتليها الهيئة فالطبيعة [illegible] الكيمياء [illegible] ترقى بهما الى هذه الدرجة [illegible] واما الفلسفة الاجتماعية فلم [illegible] كونت [illegible] لم تؤسس بعد [illegible] في وضع هذه المرتبة لتفاوت درجتها في السهولة فكان ابسطها اقربها الى الثبوت .

ويرى كونت [illegible] في تعاقب هذه العلوم وارتقائها من ابسط النظريات الرياضية الى ارقى التصورات الاجتماعية [illegible] الاستقصاء [illegible] ارتقاء الفكر البشري والحوادث [illegible] الى تسلسل طبيعي وهذا التسلسل هو [illegible] رابطة [illegible] بين النظريات [illegible] في العلوم المختلفة ويرى كونت ان بعضها يجب ان يكون له اثر في الآخر [illegible] الرياضية اول حلقة من السلسلة لانها [illegible] فيما بعدها [illegible] الى مرتبة الثبوت [illegible] الفلسفة الاجتماعية الحلقة الاخيرة

[illegible] كونت [illegible] الرياضي والاجتماعي [illegible] الاول [illegible] حتى [illegible] حصر الارتقاء البشري تحت قوانين [illegible] الرياضيات [illegible] الاجتماعية لانه [illegible] الاولى [illegible] تأسيس [illegible] المفكرون من [illegible] في العصور الماضية لايجاد فلسفة جديدة [illegible] الفلسفة الوضعية [illegible] لان الذين حاولوا ذلك [illegible] وتشتت [illegible] باختلاف [illegible] او كثير واما [illegible] الرياضيات فلا يمكن التوسع في ذلك الفكر وحمله عاماً [illegible] الرياضية [illegible] الهندسة والميكانيك) [illegible] ولا يمكن تطبيق [illegible] وكثيرون من الرياضيين في عصرنا الحاضر يقولون ان [illegible] والحوادث الاجتماعية الناتجة عن ارادة البشر [illegible] النواميس [illegible]

في [illegible] القول ان جميع الحوادث [illegible] ولكن [illegible] هذا الشكل الا [illegible] كونت [illegible] مذهبه [illegible] وسعى في كشف النواميس [illegible] وقد [illegible] يستندون الى افتراضات او يستعينون

بفلسفة ما فوق الطبيعة فاراد كونت ان يجرد البحث مما يخامره من الاوهام ويدخله في حال مثبتة

وكان كونت يقول بحرية الوجدان المطلقة يريد بذلك ان كل فكر وكل تعبير يستعمل للافصاح عنه يجب ان يعفى من كل انواع الجزاء من التنبيه البسيط الى الحكم بالخيانة وتبسط في القول على ذلك حتى ادعى ان ليس من حرية وجدان في الهيأة والحكمة والكيمياء والفيسيولوجيا لان المرء اذا لم يقبل مبادئها الاساسية اتهم بالهوس وليست الحال كذلك في الاجتماعيات لان المبادئ القديمة قد اضمحلت ولم تخلفها بعد مبادئ جديدة

اما اصول علم الاجتماع فكانت كغيرها من الاصول العلمية تستخلص من التجارب والمشاهدات على سبيل القياس والاستقراء فيطالع المستقري حوادث بسيطة يضع لها النواميس ثم يترقى الى الحوادث المركبة بطريق القياس فيستخرج نواميسها اذ ليس في وسع الباحثين استنباط القوانين العامة مباشرة من ملاحظة الحوادث المركبة ولكن كونت لاحظ ان الحال في العلوم الاجتماعية ليست كذلك فان حوادثها البسيطة تتألف من افعال الافراد وعواطفهم ونواميس هذه لا تختص بها بل تشمل الطبيعة البشرية ذاتها والحوادث الاجتماعية انما هي نتائج تلك البسائط

وقد كان العلماء الى عهد كونت يحاولون اخذ العلم الاجتماعي المثبت من قوانين الطبيعة البشرية العامة ثم يجعلون الوقائع التاريخية دليلا على صحة تلك الاستنتاجات فرد كونت هذه النظرية وقال اذا دلت القوانين العامة على ما لا يؤيده شاهد من التاريخ وجب علينا ان نحكم بفساد التاريخ واختلاله لان صفحاته الاولية ممزقة وكلما اعرق الناس في الحضارة ازدادوا دقة في تدوين الحوادث واذا كان التاريخ يدلنا على مجرى الرقي البشري في سائر العصور فهو لا يوجب اتخاذ ذلك المجرى سنداً ولا يقدم قانوناً فمتى شئنا معرفة القوانين تعين علينا ان نعود الى علم النفس (السيكولوجيا)

ان قوانين الطبيعة البشرية العامة هي في جملة موضوعات علم الاجتماع غير انها تختلف في استعمالها عن القوانين في العلوم الطبيعية فان التجارب الخصوصية في هذه تؤدي عن طريق القياس الى استخراج القوانين العامة وفي العلم الاجتماعي نبلغ الناموس العام من التجربة الخاصة ثم نستخرج عن طريق القياس نتيجة تؤيد صحته

والفلاسفة الذين اشتغلوا في ماربات الاجتماع لم يكونوا يعتبرون التاريخ سلسلة

من الأسباب والنتائج بل كانوا يتلقونها كأقاصيص متفرقة لا رابطة بينها حتى جاء كونت ليبين فساد مزاعمهم في هذا الصدد ويجعل التاريخ من أكبر مآخذ العلم الاجتماعي وحيث رأى حادثة شذت عن قوانين الطبيعة البشرية حكم باختلال تدوينها

والخلاصة ان اوغست كونت وضع اصول العلم الاجتماعي — كما قال استوارت ميل — واذا كان لم يوجد ذلك العلم فانه حبا من بعده من الفلاسفة قوة لايجاده وطريقته المثبتة في العلوم الطبيعية واصول التحليل التاريخي ستخلد اسمه بين مشاهير الفلاسفة

دمشق   جرجي الحداد

مشاهير العرب والصناعات

وليس على عبد تقي نقيصة   اذا صحح التقوى وان حاك او حجم

(ابو العتاهية)

يتوهم بعض الكتاب ان العرب اهملوا الصناعات بل استنكفوا منها لانهم لم يقولوا (آل الحائك) خشية تحقير المقال والحقيقة في ان قدماء العرب لم تنصرف المكارم الى الحياكة في زمان بداوتهم لانهم لبسوا جلود الحيوانات وابتاعوا منسوجات غيرهم ولم يتعاطوا الحياكة مع انهم عرفوها بعد ذلك واشتهروا بكثير منها ونقل الافرنج عنهم ما تفننوا به منها مثل الموركو والكوردوفان لنوعين من الجلود التي دبغها العرب الاول في مراكش والثاني في قرطبة · والدامسكو للنسيج الدمشقي المشجر · والدامسكين للترصيع المعدني الدمشقي والموصلين لنسيج عرفت به الموصل وصناعة الفخار والسيوف التي اخذوها من دمشق الى غير ذلك مما لا يحصى · ولهم تآليف كثيرة في الصناعات يحضرني منها الآن اسم رسالة للكندي في المعادن والجواهر وانواع الحديد والسيوف وجيدها ومواضع نسبتها · ورسالة اخرى فيما يطرح على الحديد والسيوف حتى لا تنثلم ولا تكل للكندي ايضاً · وغيرهما كثير لا محل لذكره الآن · ولقد ذكر جاهليو العرب بعض الصناعات في اشعارهم مثل قول طرفة بن العبد البكري من معلقته مشبهاً الناقة :

كقنطرة الرومي أقسم ربها   لتكتنفن حتى تشاد بقرمد

وقوله:

وخد كقرطاس الشآمي ومشفر كسبت اليماني قده لم يجرد

وقوله :

وعينين كالماويتين استكنتا بكهفي حجاجي صخرة قلت مورد

ومن اقدم صناعاتهم الغزل وقد ذكروه كثيراً في اشعارهم مثل قول النابغة :

وعريت من مال وخير جمعته كما عريت مما تمر المغزل

وهذه الصناعة عرفت قديماً وذكرها كثير من الاعاجم مثل قول هوميروس في الالياذة بلسان هكطور بطل تروادة عند توديع زوجته اندروماك وطلبها منه ان لا يسير الى الحرب من موشح بليغ :

ولكن عودي فامضي كفى واشغلي اعمال ربات السديل
فلك النسج وفتل الغزل وانا اعمالي سمر الذبل

ووصف هيلانة تطرز بردها في قوله :

وجدتها بالصرح تنسج ثوباً غواشي البرفير والارجوان
وراس الحياكة ترسم فيه وقعات ابلت بها الفئتان[1]

وقال ابو العلاء المعري[2] في النساء :

علموهن الغزل والنسج والردن وخلوا كتابة وقراءه

وقال نحو ملتن كبير شعراء الانكليز مايقرب من هذا الى غير ذلك

وفي صدر الاسلام اعتبر الخلفاء الصناعات بدليل قول الامام عمر بن الخطاب : « اني لأرى الرجل فيعجبني فأقول اله حرفة فان قالوا لا سقط من عيني » : وقول موسى الهادي الخليفة العباسي لامه الخيزران لما استبدت بالامر وكثر المختلفون اليها لقضاء المهام : « ما هذه المواكب التي تغدو وتروح الى بابك . اما لك مغزل يشغلك او مصحف يذكرك او بيت يصونك » . وكثيراً ما ذكر الشعراء بعد ذلك الصناعات ولو على سبيل المجاز مثل قول ابن نباتة في الطي والنشر :

لا تخف عيلة ولا تخش فقراً يا كثير المحاسن المختاله
لك عين وقامة في البرايا تلك غزالة وذي قتاله

---

[1] هذه الابيات من الالياذة العربية بقلم سليمان افندي البستاني

[2] راجع ترجمة المعري في السنة الماضية (الخامسة) من مجلة المقتبس بقلم كاتب هذه المقالة

وقد مارس الخلفاء والصحابة والامراء والاشراف والائمة والعلماء على اختلاف طبقاتهم وامكنتهم وازمنتهم صناعات كثيرة جمعت الآن منها ما وصلت اليه يد البحث تذكرة لقوم يعقلون :

كان ابو بكر الصديق وعثمان بن عفان وطلحة بن الربيع وعبد الرحمن بن عوف بزازين وعمر بن الخطاب دلالاً تاجراً . والوليد بن المغيرة وابو العاص اخو ابي جهل حدادين . والنضر بن الحرث عواداً يضرب بالعود . والعاص بن وائل السهمي بيطاراً يعالج الخيل . وابنه عمرو بن العاص جزاراً ومثله الامام ابو حنيفة وقيل كان خزازاً يبيع الخز (وهو الشائع بفعل التصحيف) . والزبير بن العوام خياطاً ومثله عثمان بن طلحة الذي دفع له النبي مفتاح الكعبة وهكذا قيس بن مخرمة . وكان مالك بن دينار وراقاً والمهلب بن ابي صفرة بستانياً . وقتيبة بن مسلم الذي فتح بلاد العجم الى ماوراء النهر جمالاً . وعقبة بن معيط خماراً وسعد بن ابي وقاص بارياً للنبال . وابو سفيان ابن حرب يبيع الزيت والادم . وعبد الله بن جدعان نخاساً يبيع الجواري . والحكم ابن ابي العاص خصاء يخصي الغنم ومثله حريق بن عمر والضحاك بن قيس الفهري وابن سيرين

وكان سفيان بن عيينة معلماً ومثله الضحاك بن مزاحم وعطاء ابن ابي رباح والكميت الشاعر والحجاج بن يوسف الثقفي الشهير وعبد الحميد بن يحيى امام المترسلين وابو عبيد القسم بن سلام والكسائي مؤدب الامين والمأمون وكثير غيرهم ممن مارسوا التدريس والتهذيب . وكانت هذه الصناعة تسمى عندهم صناعة الاشراف . وكان ابو يوسف الفقيه قصاراً يبيض الثياب . وابو العتاهية الزاهد يبيع الجرار في الكوفة فسمي الجرار . وابو تمام الشاعر كان سقاء وقيل والده حائك . والمتنبي ابن سقاء في الكوفة . والعكبري في اول امره قصاباً ثم صار نحوياً . وحماد عجرد الشاعر يبري النبال . وابو اسحق ابراهيم الحصري كان يعمل الحصر ويبيعها وابو اسحق ابراهيم بن محمد الزجاج النحوي كان يخرط الزجاج وابو الحسن السري الرفاء الشاعر كان يرفو ويطرز وابو بكر عبد الله القفال المروزي الفقيه يعمل الاقفال . وابو الحسن الماوردي الفقيه كان يبيع ماء الورد . وابو الحسن علي بن هلال كان ابوه بواباً فسمي بابن البواب . وابو القاسم الزاهي الشاعر كان قطاناً (يبيع القطن) . واحمد بن محمد الطوسي الغزالي واخوه الامام الغزالي الشهير كانا [illegible] وبن الى عمل الغزل على طريقة النسبة عند الخوارزميين اذ يقولون القصاري والعطاري في القصار والعطار .

وابو بكر احمد بن محمد [illegible] المصري كان يبيع الحمص . وابو غالب بن التياني اللغوي القرطبي كان يبيع التين . وابو القاسم الجنيد لقب بالخزاز والقواريري لانه من عمل الخز ووالده عمل القوارير . وابو علي الحسين الكرابيسي الفقيه نسب الى بيع الكرابيس وهي جمع كرباس بالفارسية وهي الثياب الغليظة [illegible] . وابو محمد بن مسعود الفراء البغوي الفقيه كان يعمل الفراء ويبيعها . وابو مغيث الحسين بن منصور الحلاج الزاهد حلاج القطن ، فنسب اليه . ومؤيد الدين الطغرائي نسب الى كتابة الطغراء . وابو عمارة حمزة بن حبيب الزيات بائع الزيت وهناك كثيرون قد عرفوا بلقبه مثل محمد بن زيات وزير المعتصم وغيره . وابو عمرو طلحة بن الخياط العصفري نسب الى الخياطة والصبغ بالعصفر . وابو الفضل محمد بن علي المعروف [illegible] (بالظاء المثلثة) وراق لقب بصناعته ودلال الكتب . ورشيد الدولة فضل الله الهمداني طبيب حرفته الشهيرة كان في اول عمره عطاراً يطوف [illegible] . وابو منصور محمد الثعالبي نسب الى خياطة جلود الثعالب وعمل فرائها . وابو القاسم عثمان الانماطي الفقيه كان يبيع الانماط وهي البسط التي تفرش . وابو عمرو عثمان بن الحاجب كان والده حاجباً للامير عز الدين موسك الصلاحي . وابو الحسن علي بن عبد الله السمسمي المصري نسب الى السمسم . وابو الحسن علي بن الحسن الخلعي لقب بالخلعي كان يبيع الخلع لاملاك مصر . وابو الحسن بن وصيف [illegible] الاسعر كان جده وصيف تاجراً وابوه عبد الله عطاراً [illegible] الحلى الفضية المزين . وابو القاسم عمر الحرفي الفقيه نسب الى بيع الحرف [illegible] . وابو القاسم عمر بن محمد المعروف [illegible] الدهن المستخرج من حب الكتان وهو يستحضر اي يستخرج [illegible] . وكان ابن سيرين الشهير [illegible] . وابو عمر المطرز الباوردي غلام ثعلب كان مطرزاً . وكان والد [illegible] الشاعر الاديب تاجراً يتردد الى الغرب [illegible] بن عبد الله [illegible] كان ابن صيدلي . وابو بكر الرازي الطبيب كان في اول امره [illegible] . وابو محمد مكي الضرير المقرئ المصري كان ابن صانع [illegible] . والسري الرفاء الشاعر كان يعمل الرفاء [illegible] . وابو الفرج محمد [illegible] في دار الطبخ بدمشق ووالدي [illegible] الفواكه . وكان بشار بن برد الشاعر الشهير ابن طيان [illegible]

بصناعته واخواه بشر وبشير كانا قصابين ٠ وغياث الشاغوري لقب بالمعلم لانه كان يعلم اولاد الملوك ٠ وابو محمد القاسم الحريري نسب الى بيع الحرير او عمله ٠ والقاضي ابو بكر محمد الباقلاني البصري نسب الى بيع الباقلا ٠ وابو الحسين الجزار الشاعر المصري تعاطى الجزارة ٠ وسراج الدين الوراق الشاعر الوراقة ٠ وابو الفضل بن عبد الكريم الحارثي الدمشقي لقب بالمهندس لحذاقته في الهندسة وكان في اول امره نحات حجارة ونجاراً واكثر ابواب البيمارستان النوري الذي بناه نور الدين بن زنكي الملقب بالعادل في دمشق من نجارته وصناعته وقد درس اقليدس في نفسه واصلح الساعات في جامع دمشق وكان له على مراقبتها راتب خاص ٠ وابو زكريا يحيى البياسي الاندلسي الطبيب قطن دمشق وعرف النجارة واشتغل بالآلات الهندسية وكان عواداً وعمل الارغن ٠ والبديع الاسطرلابي كان يعمل الآلات الفلكية ولا سيما الاسطرلاب ٠ وابو بكر محمد بن الحسن النقاش الموصلي البغدادي العالم نسب الى نقش السقوف والحيطان لممارسته ذلك وصنعته به ٠ وابو العباس محمد بن صبيح المعروف بابن السماك الكوفي الزاهد نسب الى صيد السمك وبيعه ٠ وابو بكر محمد بن السري النحوي المعروف بابن السراج نسب الى عمل السروج ٠ وابو عبد الله محمد بن جعفر التميمي النحوي الملقب بالقزاز القيرواني نسب الى عمل القز وبيعه ٠ ومعاذ بن مسلم الهراء كان يبيع الثياب الهروية فنسب اليها ٠ وابو منصور الجواليقي نسب الى عمل الجوالق وبيعها ٠ وابو يزيد وشيمة الوشاء كان يتجر بالثياب المصنوعة من الابريسم الموشاة ٠ ومحمد بن رضوان بن الرعاد كان خياطاً واقتنى مكتبة من صناعته ٠ وشمس الدين الدهان الدمشقي الشاعر كان يمارس صناعة الدهان ٠ والنصير الحمامي كان يحترف باكتراء الحمامات ويستجدي بشعره ٠ وابو بكر محمد بن احمد بن محمد المعروف بابن الحداد الفقيه الشافعي المصري نسب الى احد اجداده الذي كان يعمل الحديد ويبيعه ٠ وابو بكر محمد بن عبد الله المعروف بالصيرفي الفقيه الشافعي البغدادي نسب الى الصرافة ٠ وابو عبد الله محمد بن الكناني الشامي المعروف بابن الكيزاني الشاعر كان بعض أجداده يعمل الكيزان ويبيعها فنسب اليها ٠ وابو الرداد عبد الله بن عبد السلام بن الرداد المؤذن المصري عمل المقياس بمصر في اثناء القرن الثالث للهجرة ٠ ونجم الدين المنجنيقي الشاعر كان في اول امره جندياً مقدماً على المنجنيقيين ببغداد فنسب اليه ومن لطيف منظومه قوله :

كلفت بعلم المنجنيق ورميه لهدم الصياصي وافتتاح المرابط

وعدت الى نظم القريض لشقوتي   والحق في الطالبين من قصد حائطا

ويحيى النحوي الاسكندراني كان ملاحاً الى ان بلغ الاربعين من عمره فمال الى العلم والفقه . وكان علي بن رضوان الطبيب ابن فران . ومن اعرب العلماء ارباب الصناعات كشاجم الشاعر فان اسمه منحوت من صناعاته فالكاف من كاتب والشين من شاعر والالف من اديب والجيم من منجم والميم من مؤدب الى غير ذلك

ومن متأخري الخلفاء من نسب الى الصناعات مثل القزديري وابن الطباخ وابن العطار والاسطوالي وابن الكيال وابن السقف وابن السمان وابن الحبار وغيرهم كثير

وممن لقبوا بالصناعات ولا نعلم اذا كانوا قد عانوها ابو جعفر احمد المرادي النحاس النحوي المصري . وابن الخياط الدمشقي . وابو بكر بن عياش بن سالم الخياط الاسدي الكوفي . وابو محمد سعيد بن الدهان النحوي البغدادي . وابو القاسم الاسكافي . وظافر الحداد الشاعر الاسكندري . وابن الدهان الموصلي المعروف بالمهذب . وابن شاس المعروف بالجلال . وابن الخشاب البغدادي . وابو نصر عبد السيد ابن الصباغ الفقيه . وابو القاسم علي بن القطاع الصقلي اللغوي . وابو الحسن علي بن النجار الفدوي . وابو بكر المبارك المعروف بابن الدهان النحوي الضرير الواسطي . وابو بكر محمد بن باجة الاندلسي المعروف بابن الصائغ الفيلسوف . وابو عبد الله محمد الرفاء الاندلسي الرصافي الشاعر . ويحيى بن الجراح الكاتب . وموفق الدين النحوي المعروف بابن الصائغ الحلبي . وابو المحاسن شهاب الدين الشواء الحلبي الشاعر . وابن النجار الدمشقي الشاعر . وابو علي الحائك وقيل الحمار ابو الجزار غلام النويري المصري الشاعر الرحال . وبكر بن علي الصابوني . ومحمد بن القواس الشاعر . وابن البيطار النباتي الشهير . وعبد الله بن محمد الغرناطي الملقب بالعطار الشاعر . وعبد الحق الاشبيلي المعروف بابن الخراط . وعبد الرزاق بن احمد الصابوني المحدث المؤرخ الفيلسوف . وابو بكر الوراق التيمي . وابو المعالي البقال الاديب . وابن الصفار القرطبي . وابو حفص الشطرنجي شاعر المهدي واخته علية . وابو عبد الله البغدادي النقاش الشاعر . ومحمد بن سليمان المعروف بالخياط الشاعر . ومحمد بن احمد المعروف بابن الحداد الشاعر . ومحمد بن احمد الصابوني الصدفي الاشبيلي . ومحمد بن داود بن الجراح الكاتب . والحافظ الكبير ابن النجار البغدادي واضع تاريخ بغداد المطول . وهبة الله بن الفضل المعروف بابن القطان الشاعر البغدادي . فضلاً عن كثير من ارباب الصناعات الأُخر مثل ابي عبد الله

الفرضي الحاسب · وابن الفارض عمر بن الفارض الشاعر · وابن المعلم الواسطي الشاعر · وابن الدهان البغدادي الفرضي الحاسب · والنقاش الراصد وغيرهم كثير

ومنهم من تدل أسماؤهم على انهم من ارباب الصناعات وهم لم يتعاطوها مثل ابي سلمة حفص بن سليمان الخلال الهمداني فانه لم يكن خلالاً ولكنه كان يجلس الى محل الخلالين قرب داره بالكوفة فلقب بالخلال · ومثل ابي القاسم عبد الرحمن بن اسحق الزجاجي النحوي البغدادي الذي لم يشتغل بالزجاج ولكنه صحب ابا اسحق ابراهيم بن السري الزجاج فنسب اليه · وابو سعيد الصدفي لم ينسب الى صناعة الصدف بل الى الصدف بن سهل وهي قبيلة كبيرة حميرية هبطت مصر · وكثير من العلماء لقبوا بالعسكري ولم يكونوا عساكر ولكنهم نسبوا الى (سر من رأى) الملقبة بالعسكر حيث نشأوا لان المعتصم لما بناها انتقل اليها بعسكره فقيل لها العسكر ومنهم ابو الحسن العسكري من اهل القرن الثاني للهجرة · ومنهم من سموا باسم عسكر مكرم من كور الاهواز مثل ابي القاسم محمد العسكري وغيره · وابو الحسن الكسائي لم ينسب الى عمل الكساء بل لانه دخل مرة على حمزة بن حبيب الزيات وهو ملتف بكساء وقيل بل أحرم في كساء فنسب اليه · وابو زيد محمد القاشاني لم يصنع القاشاني المشهور ولكنه نسب الى مسقط رأسه قاشان في بلاد فارس · وكمال الدين الفراوي نسب الى فراوة في خوارزم لا الى الفراء ومن النكت بشأنه انه قيل عنه (الفراوي ألف راوي) · وابو بكر الآجري الفقيه لم ينسب الى صناعة الآجر (القرميد) ولكن الى قرية آجر من قرى بغداد · وابو بشر محمد الرازي الدولابي لم يصنع الدولاب ولكن نسب الى الدولاب وهي قرية من الري وصناعته كانت الوراقة فلقب بالوراق · وابو بكر محمد الصولي الشطرنجي توهم بعضهم انه واضع الشطرنج أو صانعه والصحيح انه اشتهر باللعب فيه · والفراء النحوي المقري الكوفي كان يفري الكلام ولم يشتغل بالفراء فعرف بهذا اللقب · وابو عمرو بن دراج القسطلي نسب الى قسطلة في الاندلس لا الى محل القساطل للماء · و[illegible] الصدفي التستري الفقيه لم يعمل الصدف بل لسبب آخر سمي بالصدفي وهو انه صدف بوجهه مرة فلزمه هذا اللقب · ومحمد بن الحسن الصائغ العروضي لم يلم بالصياغة وانما يقرئ الناس فلقب بالصائغ الى غير ذلك وهم كثيرون

هذا ما وصلت اليه يد الاستقراء الآن من صناعات المشاهير عند العرب جمعته تبصرة وذكرى لمن يتوهمون ان الصناعة تزري بالعلماء والأدباء والمشاهير · على ان الافرنج كثيرو

اولع بالصناعات مما سأفرد له مقالة خاصة ان شاء الله في فرصة أخرى · ولقد اعرضت عن مشاهير المعاصرين واسماء الأُسر التي تنتسب الى الصناعات وهي كثيرة في بلادنا قريبة العهد فلا حاجة الى وصفها · فحبذا لو كثر الميل الى اسباب العمران بين ظهرانينا وولع مواطنونا بالصناعات ونحوها مما يوفر الدراهم ويشغل الاوقات ويعود على البلاد بالنفع والا فان اقتصارنا على العلوم النظرية والكمالية جمود فلنتخذها مفتاحاً للعلوم الطبيعية :

زراعة وصناعة وتجارة   تجد البلاد تقدماً وفلاحا
اسباب عمران فشيد صرحها   وخذ العلوم لنيلها مفتاحا

(زحلة)   عيسى اسكندر المعلوف

دقائق عربية

لا مراء ان من يشتغل بالكتابة ويتوسع في المطالعة يمر به من صور التراكيب ومن الالفاظ المفردة ما يرتبك ذهنه فيه اذا راجع كتب النحو وكتب اللغة فلا يهتدي الى ما يجلو له وجه الصواب فان علماء العربية على كثرة ما الفوا في علمي الصرف والنحو واللغة تراهم قد اغفلوا من القواعد والتنبيهات والمفردات ما قد ترى مثله في كتب الشروح او في الكلام القديم كما ذكرت ذلك في مقالة بهذا العنوان نشرت في المجلد الخامس والعشرين من المقتطف وقد اجتمع لديَّ كثير من هذه الدقائق لم ادخرها لنفسي بل احببت نشرها رغبة في ان يكون للأُدباء من وراء ذلك نصيب فائدة وابتغاء تخليص العبارة من خلل الخطأ الذي في بعض المنشورات الحديثة مما ينبو له قلب البلاغة وتدمع له عين الفصاحة واكثر نصيب لتلك المنشورات على ما تشوبه محاسن البيان اختلاط الغث بالسمين فيلتبس فيها بالبليغ اذ انك قد وقعت في اول تركيب حتى ان المنشورات العامية العبارة الخفيفة جانية على الفصاحة مما يجتمع فيه الصحيح بالمختل فيلتبس على الضعفاء من اهل الادب القليل الصحيح والخطأ بالصواب فيتخذون الخطأ صواباً والعليل صحيحاً وتلك رزية كبيرة على الفصاحة فمن هنا تعلم ان نشر مثل هذه المقالات المبينة للمناقص والمبينة لهم هي أوسع فائدة واجل نفعاً وارفع شأناً من تأليف كتاب في علم قد صارت المؤلفات فيه ترى بالالوف كما هي الحال في علم العربية

الدقيقة الاولى

قد اجازوا ان تخاطب جماعة النساء خطاب الواحدة كما أجازوا ان ينعت و يخبر عن الجمع المكسر بالصفة مفردة فيقولون عيونهم نائمة وما اجمل العيون الحوراء . ولم أجد من نبه على ذلك فيما وقفت عليه من كتب النحو والصرف مع انه وارد في كلام من يثبت على كلامهم قواعد التصريف والاعراب قال علقمة بن علف المري وهو من شعراء الحماسة

ولست بسائل جارات بيتي   أغياب رجالك أم شهود

وقال آخر

قد كتب الحسن على وجهه   يا أعين الناس قفي وانظري

فقال الاول (رجالك) مكان (رجالكن) وقال الثاني (قفي وانظري) مكان (قفن وانظرن)

الدقيقة الثانية

من حق الضمير ان يطابق مرجعه تذكيراً وتأنيثاً وافراداً وتثنية وجمعاً وكذلك اسم الاشارة كما هو معلوم عند صغار الطلبة فيما خلا اسم الجمع فقد فضلوا في الاخبار له مراعاة اللفظ على مراعاة المعنى قلت لكن متى كان المقام يقتضي الكثرة كانت مراعاة المعنى عين مقتضى الحال فيقال هؤلاء قوم كرام وهذا قوم كريم وهذا شعب شجاع وهؤلاء شعب شجعان وكذا حكم اسم الجنس فيقولون ورق خضر باعتبار المعنى وورق أخضر باعتبار اللفظ قال ابو خراش الهذلي

تكاد يدي تندى اذا ما لمستها   وتظهر في اطرافها الورق الخضر

ولم أجد من زاد على ذلك لكني رأيت في كلام من يوثق بهم جواز مطابقة الضمير واسم الاشارة للخبر . فان كان المرجع مؤنثاً والخبر مذكراً أجازوا الاتيان بضمير المذكر . وكذا اذا كان المرجع مذكراً والخبر مؤنثاً . مثال الاول قول التبريزي في شرح الحماسة « فائدة اذن هو انه اخرج البيت مخرج الجواب » ومثال الثاني ما جاء في كامل المبرد من قوله « اذا صب لبن حليب على حامض فهي المرحة » وهذا فاش في كلام الفصحاء وقد جاء في سورة الانعام « فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي » مكان هذه ربي . قال صاحب الكشاف « فان قلت ما وجه التذكير في قوله « هذا ربي » والاشارة للشمس قلت جعل المبتدأ مثل الخبر لكونهما عبارة عن شيء واحد . وقال صاحب انوار التنزيل « ذكر اسم الاشارة لتذكير الخبر وصيانة للرب عن شبهة التأنيث »

الدقيقة الثالثة

متى أريد بالمفرد العموم ولم يكن اسم جنس جمعي كالتمر او اسم جمع كالشعب والقوم جاز ان يعامل في صفته والاخبار عنه والاحوال منه معاملة الجمع وهذا مبني على اعتبار المعنى فقد جاء في سورة الانعام « وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم امثالكم » قال الزمخشري « فان قلت كيف قيل الا امم مع افراد الدابة والطائر قلت لما كان قوله تعالى « وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه » دالاً على معنى الاستغراق ومغنياً عن ان يقال وما من دواب ولا طير حمل قوله الا امم على المعنى » وقال البيضاوي « وجمع الامم للحمل على المعنى » ومثله في القرآن ايضاً « وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئاً » وذلك لان قوله كم من ملك في معنى كم ملائكة

الدقيقة الرابعة

في الفرق بين « فنادها لو تسمع » وبين « فنادها هل تسمع »

قال التبريزي في شرح قول [illegible] في رثاء امرأة

[illegible] الحدث الذي حلت به ... أم العلاء فنادها لو تسمع

ويروى « فنادها هل تسمع » والفرق بين (لو) هنا وبين (هل) ان (لو) [illegible] الشرط فيها والمتكلم به كلام من علم الشرط عنده من درك الحاجة من (لو) هنا و (هل) من حيث كان للاستفهام يصير الكلام به كأنه غير يائس او طامع في سماعها ويكون المعنى حيها وانظر هل تسمع

الدقيقة الخامسة

حق رب ان تدخل على الماضي ولكنها جاءت في سورة الحجر داخلة على المضارع حيث قال « ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين » قال الزمخشري لان المترقب في اخبار الله تعالى بمنزلة الماضي المقطوع به في تحققه فكأنه قيل ربما ود

الدقيقة السادسة

ان الفاء التي تلي همزة الاستفهام انما يراد بها التعقيب قال الزمخشري في تفسير قوله تعالى « أفرأيت الذي كفر بآياتنا » والفاء جاءت لافادة معناها الذي هو التعقيب كأنه قال اخبر ايضاً بقصة هذا الكافر واذكر حديثه عقيب حديث أولئك

الدقيقة السابعة

(فضلاً) مصدر يتوسط بين الادنى والاعلى للتنبيه بنفي الادنى واستبعاده عن

الوقوع على نفي الاولى باستفهام ويقع بعد نفي اما صريح كقولك لا يملك فلان الدرهم فضلاً عن الدينار واما ضمني نحو : [illegible] همهم عن ادنى عدد هذا العلم فضلاً ان ارقى الى الكلام الوثيق على علمَي المعاني والبيان . واكثر الكتبة المعاصرين ذاهلون عن هذا الحكم يستعملون فضلاً في الايجاب كقولك زيد بارع في صيد البر فضلاً عن براعته في صيد البحر وهو مخالف للقاعدة المذكورة مغاير لنصوص العلماء

الدقيقة الثامنة

قد نشأ في كتب علماء الصرف ان (يدع ويذر) قد اميت ماضيهما حتى صار ذلك معلوماً لصبيان الكتاب . ولم اعثر في قديم الكلام على ما يخالف ذلك الا في بيت من قصيدة عينية لسويد بن ابي كاهل اليشكري وهو

فسعى مسعاتهم في قومه ثم لم يظفر ولا عجزاً ودع

قال الشارح : اي سعى سعاة ابيه في قومه ثم لم يظفر بما اراد ولا ترك عجزاً الا استعمله والقصيدة من مختارات المفضل الضبي فيؤخذ من ذلك ان للمضطر ان يجيء ما أُميت كما احياه سويد

الدقيقة التاسعة

لم يذكر النحاة شيئاً في اعراب (حاش لله) وهي في موضع النصب على المصدرية . وانما بقيت على بنائها كبقاء « عن » على بنائها في نحو جلس من عن يمينه . ذكر ذلك الزمخشري في تفسير سورة يوسف

الدقيقة العاشرة

من سنن العرب انهم يقولون في نحو بني العنبر بلعنبر وكذلك يفعلون في كل ما فيه ألف ولام اذا لم يكن ثَمَّ ادغام فيقولون بلعجلان وبلحارث في بني العجلان وبني الحارث فان كانت لام التعريف مدغمة مثل النمر لم يحذفوا النون من بني

الدقيقة الحادية عشرة

اذا توالت النعوت او الاحوال وترك العطف كان ذلك اشارة الى ان كل نعت صفة كاملة على حدة كقول الزمخشري في مقدمة الكشاف « انشأه كتاباً ساطعاً تبيانه قاطعاً برهانه »

الدقيقة الثانية عشرة

قد اجاز العروضيون وصل همزة القطع لاقامة الوزن وقد عثرت في شرح القصيدة

التي هجاها حسان بن ثابت سالم بن عباس التيمي على ما اتهمه « قوله اواصحاب الالوا الصيد » بحذف الهمزة · وتخفف اذا كان قبلها ساكن فتطرح حركتها على الساكن كقولك من ابوك كذا ذكره المبرد في كامله

الدقيقة الثالثة عشرة

ان كثيراً من كتب النحو المتداولة نص على وجوب نصب الفعل بعد فاء السببية في جواب النفي والتحقيق ان ذلك غالب لا واجب بدليل قول الحارثي وهو من شعراء الحماسة

فما حيلتي ان لم تكن لك رحمة ‌ ‌ علي ولا لي منك صبر فأصبر

وقد جاء في القرآن بالرفع بعد الفاء حيث قال « ولا يؤذن لهم فيعتذرون » ذكر ذلك سيبويه والدماميني ونقله الصبان في باب النواصب

الدقيقة الرابعة عشرة

ان (احداً) لا يستعمل الا مسبوقاً بالنفي ما لم يضف نحو قام أحد الاربعة او يقع نعتاً نحو هو الله الاحد او يصاحب اسماء العدد كقولك عندي احد وعشرون رجلا هذا ما صرح به في كتبهم ولقد رأيت العلماء يستعملونه قبل النفي كقول الزمخشري وعلما ان احداً غيره لا يقوم مقامه فيؤخذ من ذلك ان الشرط مصاحبة النفي سواء تقدم ام تأخر خلافاً لما يفهمه اكثر الادباء من وجوب وقوعه بعد النفي

الدقيقة الخامسة عشرة

قد انكر احد من ادركنا من اهل العصر على احد المعاصرين قوله « قال ابو حاتم الذهب » وقال الصواب ان يقال الذهبي الخ · قلت ان هذا الانتقاد غلط لان الذهب لقب لابي حاتم فهو بدل منه لا نعت له على حد قولهم جاء زيد زين العابدين · وذهب عمرو انف الناقة

الدقيقة السادسة عشرة

قد انكر بعضهم استعمال المريض لغير الجسم مستدلا بنصوص من كتب اللغة كالصحاح والمصباح · وقد رأيت في الصفحة ٦٢٦ من الجزء الاول من الكشاف في تفسير سورة يوسف ما نصه « وهو ماتم في مريضه اي العليل » ومثل الزمخشري جدير بان يوثق بكلامه

الدقيقة السابعة عشرة

قد انكر بعضهم جمع برهان على برهانات وجاء في كتاب البيان والتبيين للجاحظ في

الصفحة الثامنة ما نصه « ومن العلامات الظاهرة والرجحانات الواضحة فيكون انكاره غلطاً والانتقاد خطأ »

الدقيقة الثامنة عشرة

قد يعبر عن الجمع بالمفرد ولكن في تأويل قال القرآن « كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضداً » فوحد ضداً وحقه ان يكون جمعاً لاتفاق كلمتهم وانهم كشيء واحد لفرط تضامهم وتوافقهم وقال القرآن ايضاً « وما جعلناهم جسداً لا يأكلون الطعام » يريد ذوي جسد ووحد الجسد لارادة الجنس كأنه قال ذوي جسد من الاجساد ومثله « وما زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيداً خامدين » ومن هذا الباب قول القرآن ايضاً « ثم نخرجكم طفلاً » قال المفسر : طفلاً حال اجريت على تأويل كل واحد

الدقيقة التاسعة عشرة

قد ورد في الشعر خطاب المرأة بضمير الرجال وذلك كقوله

ولا تحسبي اني تخشعت بعدكم   لشيء ولا اني من الموت أفرق

وكقول سعيد بن حميد يخاطب محبوبته فضل الشاعرة

تقولون أني قد تبدلت بعدكم   بديلاً وبعض الظن اثم ومنكر
اذا كان قلبي لي بحبك رهينة   فكيف بلا قلب أصافي وأهجر

ومن هذين الشاهدين تعلم انه يخاطب المرأة بضمير المؤنثة المخاطبة وبضمير جمع المذكر العاقل وهو خطاب جميل يؤمن اللبس

الدقيقة العشرون

اذا كان المتكلم في فن ثم شرع في فن آخر من الكلام يصدر الكلام الجديد بقوله (اعلم) تنبيهاً على الانتقال — ذكر ذلك الزمخشري في كشافه

الدقيقة الحادية والعشرون

من سنن العرب ان يستغنوا بذكر الشيء عن ذكر نقيضه قال المثقب العبدي

ولا تعدي مواعد كاذبات   تمر بها رياح الصيف دوني

اراد رياح الصيف والشتاء فاجتزأ بواحد منهما ومثل ذلك قول القرآن « سرابيل تقيكم الحر » لم يذكر البرد وهي تقي الحر والبرد فترك البرد اكتفاء بذكر الحر

الدقيقة الثانية والعشرون

من التراكيب المستفيضة الواردة عن البلغاء ما تقدر فيه الجملة بالمفرد ، من ذلك

قولهم ما ترى لنا أنهرب ام نقيم والتقدير ما ترى لنا الهرب ام الاقامة . وهذا لم اجد من تعرض لذكره . نعم قالوا في باب ام المتصلة انها تقع بين جملتين في تأويل المفرد نحو قول القرآن « سواء عليهم أأنذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون » حتى أنهم لم ينبهوا على ان الجملة تسبك بمصدر الا مع الاحرف المصدرية

الدقيقة الثالثة والعشرون

قد رأيت من الادباء من ينكر استعمال صار بمعنى حصل وهذا خطأ جلبه نقص العلم فهي تأتي بمعنى حصل ومن تتبع كتب اللغة يرها واردة بهذا المعنى في عدة مواضع من ذلك ما جاء في مادة (و ق ع) ونصه « وقع في ارض فلاة صار فيها »

الدقيقة الرابعة والعشرون

ان اكثر الأدباء يرون قول العامة في فلان يفرد يد خطأ وصوابه « يدٌ واحدة » والحال انه عربي فصيح فقد جاء في اخبار دعبل في كتاب الاغاني فحلف ان لا يبيعها (اي الحلة) او يعطوه بعضها ليكون في كفنه فاعطوه فرد كم اي كمّاً واحداً وقد ورد هذا في غير الاغاني من كتب البلغاء .

الدقيقة الخامسة والعشرون

لم أر من نص على ان حيث تقع في مقام التعليل مع انها وردت للتعليل في كلام البلغاء كالزمخشري والبيضاوي قال الاول « والامر على عكس ما قدروا حيث هم جند لآلهتهم محضرون » وقال الثاني وما ضررتم بالكفران الا انفسكم حيث حرمتموها مزيد الانعام » وهي في كلام هذين الامامين بمعنى لان .

الدقيقة السادسة والعشرون

اذا جاز في لفظ مراعاة اللفظ ومراعاة المعنى فان روعي احدهما في جملة جاز ان يراعى الآخر في أخرى . قال في سورة الحجر « وما تسبق أمة أجلها وما يستأخرون » وقال غلاق بن مروان وهو من شعراء الحماسة

وصحبت زهير في السنين التي مضت   وما بعد لا يدعون الا الاشائنا

الدقيقة السابعة والعشرون

اذا قيل لا اشجع من عمرو ولا أجبن من خالد ولذلك يشبه بهما كل متناهٍ في الشجاعة وكل متناهٍ في الجبن يكون المراد ان كل متناهٍ في الشجاعة يشبه بعمرو وكل متناهٍ في الجبن يشبه بخالد – لا ان كل متناهٍ في الشجاعة يشبه بخالد ولا كل متناهٍ في الجبن يشبه بعمرو

خلافاً لما يجاري فيه من يدعون التعمق في علم العربية والالمام والوقوف عند ظواهرها وتعزيزاً لهذا اروي لك ما يبين لك الامر كما صح قال البيضاوي في تفسير سورة يوسف « وذلك لان الله عز وجل ركز في الطباع ان لا احسن من الملك كما ركز فيها ان لا اقبح من الشيطان ولذلك يشبه كل متناهٍ في الحسن والقبح بهما اه يريد ان كل متناهٍ في الحسن يشبه بالملك وكل متناهٍ في القبح يشبه بالشيطان

بيروت سعيد الخوري الشرتوني